٢٦ # شهرزاد ٢٦

26 **Scheherazade**

العدد ٢٦ — ١٠ مليمات — ١٩٣٠/٣/١٢

الاشتراك بالقرش المصرى
٦٠ للجمهور فى مصر
٤٠ للطلبة « «
١٠٠ مع الجديد للجمهور « «
٧٠ « « للطلبة « «
وللخارج بزيادة ٣٠ ص لكل مجلة
الادارة : ٦٤ شارع فؤاد (بولاق)
تليفون ١٢ - ٥٣ مدينة

شهرزاد

صاحبها ورئيس تحريرها محمد المرصفى

SCHEHERAZADE
Directeur - propriétaire :
MOHAMED EL MARSAFI
DIRECTION - ADMINISTRATION
64, Avenue Fouad 1 er
Tel : Madinah 53 — 12

فهرس موضوعات العدد السادس والعشرين

م ٢١٢ ص ٤ - شهر زاد تروى للقراء حادثة باب الشعرية
« ٢١٣ « ١١ - مرسى افندى يحترف الأدب والتحرير
« ٢١٤ « ١٥ - العقد السحرى
« ٢١٥ « ١٩ - حيرة ابن ملك
« ٢١٦ « ٢٥ - قبلة في الظلام
« ٢١٧ « ٣٠ - فتاة تهرب من ذويها فتلتقى بعد نصف سنة باخيها فى ظروف غريبة
« ٢١٨ « ٣٥ - زوج شقيقتى - تقدم حبيبها لشقيقتها ولكن الحب يتغلب عليها
« ٢١٩ « ٤٢ - ليلى الأخيلية تصف مجنونها للحجاج
« ٤٤ - الآنسة جوفر الجزء -٣- الفصل -٣-

فهرس للصور

١٥ - فرانك يذهب إلى جواهرى ليشترى هدية لنانيت
١٧ - نانيت تدعو فرانك لتقبيلها
٢٠ - رينيت وابن الملك ينصتون إلى قادم
٢٢ - رينيت بين أحضان ابن الملك
٢٦ - كولامبين تتحدث الى عمها جيمس
٢٨ - كولامبين تعانق بل
٣٢ - فيوليت وروث يدوران أمام دوجلاس
٣٣ - هوبرت ودوجلاس وفيوليت.
٣٦ - روث تبكى وشقيقتها بالملقاة على الأرض في ثوب عرس أختها
٣٧ - روث تتنازل لأختها بال عن خطيبها
٤٨ - دسبيرو واسكادافال ويوربيس والشريف بالنادى

لاترسل المجلة الا لمن يدفع الاشتراك مقدما

شهر زاد تروى لقرائها حادثة باب الشعرية

بخيالها المتسق وأسلوبها الشعرى المنسجم الطريف

أثارت حادثة « باب الشعرية » فى نفسى شهية الفضول والاستطلاع ، لا لأحدث القراء بوصف مقتضب وبيان وجيز عن اسم القاتل والقتيلة فذلك ما سبقتنى اليه الصحف اليومية ، وقد عرف القراء أن القاتل قد أبقى على تعب المحققين فاعترف بفعلته الاثيمة . ولكن هناك قصة محبوكة الأطراف ، رائعة المغزى أظلت حياة هذين التعسين وحياة من يتصل بهما . وهناك غرائز وعواطف مبهمة غامضة ، مهدت للجريمة بواعثها . ومن حق القراء علينا أن نبسط أمام أنظارهم دقائقها وخوافيها ، فقد تكون هذه الحادثة الواقعية مثار عظة وادكار

حى باب الشعرية

هو حى « بلدى » يتوسط القاهرة فى بساطة ووجوم، وقد شطرته مصلحة التنظيم فى العام الماضى شطرين، بافتتاح شارع الامير فاروق وهو على الرغم من هذه المدنية المحدثة فيه ما يزال عامراً بأهله من الباعة ورقيقى الحال، وقد التوت طرقاته فما تمشى فى شارع حتى تنفذ الى حارة ، وما تسلكها حتى تواجهك عطفة ، وما تنتهى منها حتى يعترضك زقاق ، وهكذا أنت فى حوار دائم مع من يصادفك فى طريقك تسأله عن غايتك حتى تنتهى اليها بعد جهد وتعب

ولابد أن القارىء قد فطن من نفسه الى ما عليه هذا الحى القديم المتلكئ فى جوف القاهرة من سوء نظام وقلة نظافة . فالذى يطرقه ليلا سوف يعود منه مورم الجبهة مشجوج الرأس لما يقع فيه من حفر وما سيلحقه من عصبة « الفتوات » حين تهز رءوسهم نشوة الزهو والغرور فيرون أن التعرض للمارة ببذىء القول وتطاول الأيدى انما هو عمل يستحق المباهاة والتيه

وعلى رأس كل حارة من هاتيك الحوارى تقوم ثغرة فى منزل متهدم اصطلح أهل الحى على أن يسموها «قهوة» عدتها ثلاثة مقاعد قديمة و « دكة » محطمة تسجد قوائمها على الارض كلما داعبها طفل بالجلوس عليها !

وفى هذا الحى تكثر مقابر الأولياء الصالحين ، ممن لم يكلف التاريخ نفسه مشقة البحث فى سيرهم الغامضة ، ولكنك سوف تعثر برجل يبيع حفنة من الحلوى المتراكم عليها الذباب وقد شذبت السنون أجفانه من أهدابها وأرخت الحوادث قواه الا عن أن يدفع بيده الهزيلة جيوش الذباب المستعمر ، سوف يجيبك هذا الرجل بأن صاحب هـــذا المقام هو سيدى « عبد الباسط » أو « نصر الدين » فاذا نظرت من النافذة الخشبية المتصلة بالارض رأيت غطاء أخضر باليا يغطى قطعة مربعة من الخشب ، وقد تدلى من السقف المتهدم مصباح صغير حوى جوفه بقايا شمعة أو « لمبة » من الصفيح

بيت القتيلة

فى المنزل نمرة ٧ بحارة البزازرة أو « البزارة » كما شاءت حذلقة مصلحة التنظيم أن تثبته فى « يفطتها » يقوم منزل القتيلة « نبويه محمد أبو العينين » وهو مكون من ثلاثة أدوار وقد فتحت من ناحيته اليمنى نوافذ كالفجوات تطل على فضاء أحيط بجدار قصير ، قامت فيه شجرة يابسة كأنما هول الجريمة قد أشاع فيها البلى فما عادت ترف أغصانها أو تذبذب أوراقها الا اذا لامستها يد أو حطت عليها طائفة من الطيور

وأمام منزل القتيلة تماما يربض جثمان سيدى « الشيخ شعبان » وقد سألت الموكل بحراسته عنه فخشى أن أعدو على سره المغيب، ولذلك راح يحك أذنيه بكلتا يديه ثم ولى هربا من أسئلتى الكثيرة

مكان الجثة

ويخيل الى من يشهد المكان الذى أودع الجناة فيه الجثة أنهم كانوا يتوجسون خوفا من افتضاح أمرهم وانكشاف خبيئتهم فجاء تدبيرهم محكما لو لم يغفلوا عن ظاهر البناء الذى يدل على أن هناك وراء هــذه الطبقة الرقيقة جثة هامدة أزهقت روحها وأخمدت أنفاسها، وحرمت فى نهايتها المؤسفة أبسط مظاهر تقدير حرمة الموت. فلم تغسل الا بدمائها ولم تكفن الا بثيابها، ولم يصل عليها من يلتمس لها من الله الرحمة والغفران، ولم تشيع الى مقرها الاخير بزحمة المولولات الباكيات ولا المشيعين الواجمين. وأخيراً لم يشق لها لحد الى جانب من خلفوا هــذه الدنيا، ولم يقم لهـا قبر يتحدث فى صمت الليل الى كائنات القبور عن السر الدفين، وانما شاء الجشع والطمع أن يسلبها ماحاورها وحتى خصائص الاموات ومميزاتهم، وأن يشق لها لحدا فى جدار كأنما جثتها قطعة من الحجر احتاجت اليها عملية البناء

لقد مرت الأم المسكينة بحدث ابنتها كثيرا، وكلما أنصتت بأذنها استمعت الى همسات الفناء تعلن بصوت خفيض سر الجناية. ولكنها كانت تعالج هذه الهواجس حتى ملات الرائحة المنبعثة من جثة ابنتها المكان فكانت أول دليل على صدق ما أوحت به هذه الهمسات

ابتداء القصة

وكنت قد تعبت من البحث هنا وهناك فى تلك البقعة الحزينة، وآلمنى منظر رهط من النسوة اجتمعن في عرض الطريق يندبن ويلطمن حزنا على «الفقيدة»، وقد توسطهن «كشك» صغير «لحنفية» المياه جلس فيه شيخ متهدم يبيع الماء الى السقائين والصغيرات من البنات. وكأن رائحة الجثة لم تزكم أنفه فبدا هازلا ساخرا

وفى احدى هذه «القهاوى» المعتمة جلست أفكر فى مهمتى، فساقت المصادفة الى جوارى رجلا مكتظ الجسم باللحم، لولا رأسه وذراعاه وقدماه لخلته قطعة من اللحم صبت فى قالب مستو، وكان يلوح كأنه قارب الخمسين أو خلفها قليلا، ثم هو حائر بين الطول والقصر دقيق الانف، معوجه قليلا. ارتدى من الهم والحزن غلالة صفراء، تلوح على عينيه دلائل القناعة والبساطة، وكان يتحدث الى صاحب «القهوة» عن الجريمة مما دلنى على أنه أعرف الناس بالقاتل وأوفاهم احاطة بسره وخبرا عن نشأته، اذ هو صديق له زامله حينا فى صناعات متعددة وطوى واياه صفحات من كتاب عمريهما، فدنوت منه وما زلت أروضه على مساجلة الحديث حتى نفض كل أنبائه وانى لأدعه يتمم للقراء هذه القصة المدهشة من حيث يبدأ الحديث عن صديقة القاتل

***

منذ سنوات عدة كان المار بأحد الأكواخ الملحقة بحى شبرا يشهد غلمانا عاجلهم البؤس بضوائقه ولما تشتد سواعدهم، يذهبون يلعبون بالتراب يظنونه تبرا، ويعبثون بالحصى يتمثلونه درا، وكان من بينهم غلام ماتركت الأقذار من ثوبه الخلق الممزق بقعة، يتغفل هؤلاء الغلمان فيسلبهم غطاء الرأس وما في اليد والجيب، ولو استطاع أن يخطفهم جميعا لفعل. فهو ملء الصدر بالشر والاثم، ينفذ من فمه الواسع سخط وغيظ ويتصدى المارة بذىء الشتم والسب، ويتربص بزملائه في السن الدوائر، وينقم على الحياة نقمة الموتور الجاهد، ولماذا لاينقم عليها وأمه تذيقه العذاب ألوانا، وأبوه يطعمه الألم أصنافا؟

كان هذا الغلام «سيد سيد الحملاوى» بطل القصة ولم يكن لأحد فى هذا الحى البائس أن يكافئه على اساءاته ولا أن يرده عن حماقاته، فهو يملك ثروة من الشتائم القذرة، دستها فى فمه أمه المنكودة الحظ. وتحمله ساقان يسابق بهما الريح اذا هو قد حطم زجاج نافذة أو اعتدى على طفل صغير أو سرق شيئا من الأشياء

وكان أبوه سقاء استلت الأيام نور بصره فراح يستجدى «بقربة» الماء على ظهره تقوده عصاه الضخمة ولم يكن في هذه الحياة المنغصة بقادر على أن يقفل فم امرأته الوقحة، ولا أن يؤدب ولده العابث، فليس لمكفوف البصر الى شىء من هذا من سبيل، ولأن الله أشفق على هذا الهيكل المتهدم أن يسعى بين الناس سائلا مستنديا الأكف فى الطريق الى المسجد وعلى محطات

الترام ، فعاجلته احدى السيارات من أمامه ، وكان السائق ثملا نشوان ، فتفنن فى ازهاق روحه على نحو يذيب القلوب ويبعثر الأفئدة ويقطع نياطها

لم يبال « سيد » الصغير بفاجعة أبيه ولم تدمع عينه حزنا وأسى على والده ، فهو يدرك بفلسفته الساذجة أن هذه الكارثة ليست أول ماخبطته به الحياة ولن تكون الأخيرة ، ولهذا فقد عاد الى عبثه كأن لم يفقد فى هذه الحياة أبا يعوله

وكان دائب الخصام مع أمه ، يمسك بشعر رأسها ويولج أصبعه فى عينها ، ويملأ عليها البيت حصى وطوبا يقذفها به ، كلما حرضته على أن يسلك سبيلا قويما . وأن يعمل كما يعمل انداده ليكتسب قوته وقوتها . قالت له أمه يوما : دونك هذا الرغيف ولتذهب الى قريبنا «حسين» النحات لتعمل معه فى مصنعه على أن يعطيك كل يوم ماننفق به على نفسينا ، فرمى بالرغيف وراء جدار المنزل القصير ، وأشبعها لكما وضربا ثم وثب يتمم خطته فى مباغتة أطفال الحارة وفى سلب ماتصل اليه يده

وتعلم هذا الغلام المعوز لعب القمار بوساطة رجل فى الحى كان يلقن الغلمان هذه الصناعة القذرة . ابتغاء أن يوافوه بكل مافى بيوتهم من أوان ومتاع يخف حمله ، وأخفق الغلمان جميعا فى البصر بهذه المهنة إلا « سيد » فانه أصبح ماهرا فيها كأنما ولد على منضدتها ، وكانت هذه الصناعة كافية لسد نفقاته إذ هو يشرب الدخان وينفق ببذخ على نفسه مايشاء فى ابتياع الحلوى وشتى الألعاب . ولكن قريبه النحات انتزعه من صناعته قسرا وقهره على أن يقيم بمحله ليعمل

وكان فى محل النحات صبيان كثيرون ، يجهد كل واحد منهم نفسه فى حذق هذه المهنة ، حتى اذا نزل بهم «سيد» تولى قيادتهم وطفق يدربهم على السرقة والمقامرة . وهم يطيعونه خوف ايذائه وبطشه . وعند ما أحس صاحب العمل هذا وعرف أن هذا الغلام قد أصبح «ديكتاتورا» على الصبيان وانه أفسد أخلاقهم بعدواه طرده شر طردة وأراح نفسه من شقاوته

ولم يتعظ صاحبنا بهذا الحرمان فقد كانت أمنيته أن يعيش حراً لايزاول عملا حراً ، وهكذا توالت السنون عليه حتى تكاملت رجولته وقد زاول مهنا عدة ، لم يفلح فى واحدة منها ، ولكنه أفلح فى أن أصبح شخصا خطراً يخشاه الجميع ويخافونه ، ويفرض على الموسرين فى الحى ضريبة باهظة ، فمن شاء أن تفقأ عينه أو تصلم أذنه أو يجدع أنفه فليتلكأ فى سداد هذه الضريبة !

وعند مارأى نفسه مسموع الكلمة نابه الشهرة غالى فى طغيانه واشتد فى قسوته وعتيه ، وبالغ فى ارهاقه لأهل الحى حتى ضجوا منـــه ، وبلغ الخبر سمع رجال الأمن فتعقبوه ، وطالما اشتبك وإياهم في حرب دامية كانت المصادفة تنقذه منها ، فيروح بين الحى مزهواً مختالا ، ولم يكن أحد يجرؤ على أن يشهد ضده أو يقف منه موقف المعدد لسيئاته ، فدون هذا الواجب دق العنق وازهاق الروح .

وشهرة مستفيضة كهذه لرجل غير مسئول لابد أن تجمع حوله من ربيت نفوسهم على السوء والخطل . وقد كان أن أصبح هذا الرجل الخطر ، على رأس عصابة تهدد جانبا من أطراف المدينة بشرورها وآثامها وتعمل على أن تسود كلمتها فوق كلمة القانون العليا . وكان هذا الزعيم الرهيب يفرض طاعته على أتباعه وقد يدفع بأحدهم الى الموت باشارة من يده ، وهو أبداً عابس الوجه ، له سلطان رهيب على محال الفجور ، ينفق فيهـــا الأموال الكثيرة والأوقات الطويلة متنقلا من منزل الى منزل كأنه طائر يتخير لألحانه غصنا مكسواً بالورق الكثير

جلس مرة في إحدى القهاوى يرسم لأتباعه خطة من خططه الجهنمية ، وكان في القهوة أحد رجال البوليس السرى ، قذفته المصادفة الملعونة ، وكان هذا الشرير يعرفه فظن انه يتجسس عليه ، وبهمسة منه فى أذن أحد أتباعه كانت قائمة رجال البوليس الملكى خلوا من اسم هذا المسكين التعس ، حيث وجد صباحا مذبوحا على قضبان السكة الحديدية واستخلص المحققون أن من ذبحوه قد استغووه وملأوا بطنه خمرة مسمومة

وهكذا استمر « سيد » زعيما جباراً يبطش بالآمنين ويتهدد المستكينين وفى صدره لغز مبهم هو الانتقام من

الحياة التى لم تبسم فى وجهه مرة

وكان فى الحى شيخ معمم كان من قبل مقرئا فى المنازل ثم انقلب الى منجم (يشوف البخت) ويستشف حجب الغيب ، وبينا هو مار بمنزل « سيد » اذا استوقفه صوت فيه جشاشة ونكر :

— تعال يارجل

وجاء الرجل مذهولا حتى اقترب من هـذا الشرير الجالس أمام منزله يداعب جليسا له بأن يضربه على يديه بسوط أسود حالك ، ثم أمره أن يجلس على الأرض فجلس الرجل المنجم يلعن حظه ويتحسس رقبته كأنما يخشى أن تنشب فيها أظفار هذا الوحش الجبار ثم سأله أن يدله على طالعه فتلعثم الرجل وراح يقلب بيديه كتبا ممزقة وهو لا يحير جوابا

وبعد لأى استطاع الرجل ان يخلص لسانه من قيد الرهبة والرعب . ثم نظر اليه فاحصا متأملا ، وكأن هذا الشرير العابث الذى ما عرف التردد الى قلبه سبيلا ، أحس فى هذه اللحظة أنه أمام شخص يقرأ فى صفحة ضميره ما خطته سنوات عدة من شرور وآثام ، فاضطرب لهذا الخاطر وتملكته ثورة من الضجر والخوف والتمرد ، لو لا أنه اعتصم بالصمت

وأحس المنجم هـذا الضعف لكثرة ما يمر به فى صناعتـه من شتى النوازع والعواطف التى تلوح على وجوه « زبائنه » فأراد أن يتخذ الناهزة وسيلة الى انتقامه ومضى يرقم أعدادا على ورقة مفكرة ، ثم سدد نظره الى الشرير المرتجف ، ومن ثم أطلعـه على صورة غامضـة لحياته المضطربة الحافلة بالجريمة والفساد ، فكان لهـذا التنبؤ أثره فى ايلام هذا الرجل الذى لم يتألم لمنظر دموى ولم يرتع لمشهد اجرامى . ولـكنه تألم فى هـذه المرة لان جانبا من الستر المضروب على قلبه قد أزاحته يد المنجم اللعين !

جلس « سيد » بعد أن نفح الرجل — على غير عادته — جانبا من المال يفكر فيما أنبأه به المنجم عن ماضيه وحاضره ومستقبله ، فقد ذكر له أن ماضيه غائم ملبد ، وقد قارف عدة جرائم ، وهو صادق فيما نطق به ، وجهر له بأن حاضره مضطرب غامض ، وهو صادق أيضا فى قوله هذا ، لأن « سيدا » كان فى عهده الحاضر يصارع عقله عواطفه ، يريد أن ينفذ الى باحة الاستقامة والشرف وتأ ، عليـه عواطفـه اللجوج الا أن يتردى فى الهوة الى النهاية

وذكر له أن قلادة من الكتان تترقب عنقه ، وأن مصيره أن يتقدم الى الحيوان ذى الثلاثة الأرجل « يعنى المشنقة » وهنا لم يستطع الصبر على هـذه الحماقات وقد خيل اليه أن زبانية الجحيم تسخر منه ، فوقف صائحا مهددا يضرب بيده كل ما يصادفه فى طريقه دون وعى ولا تدبر

وبالاختصار أظلمت الدنيا فى عينى الطاغية الجبار ، وبدا له أنه ماخوذ من ساعته الى حيث يكفر عن آثامه فعاودته خلة الجبن وخور العزم ومضى يتعقب المنجم كلما مر بالحى ، حتى أصبح له صديقا . وقد دعاه الى هـذا شغفه القوى بأن يكشف عن مستقبله الأليم وأن يعثر على وقاء يدفع به ما يتهدده من اعدام

واستقر رأيه أخيرا على أن يهجر الحى الى سواه وأن يعود الى حرفة البناء بعد أن خلفها ، وأن يهجر حياة التلصص والاجرام ، وكان أن كاشف صديقا له بهذا العزم فحبذه فى ذلك ، وأشار عليه بأن يتزوج لا من نساء مصر فهن شياطين ، وانما من موطن آبائه وأجداده « بلبيس » ولذلك سارع الى الزواج من احدى قريباته ، ثم أقام معها فى بلدتها أعواما أنجب منها طفلين وهو يزاول مهنته فى البناء ، وكأنه كان يريد أن ينسى الماضى وأن يسدل عليه غطاء لا يقضه فى نومه ولا يملك دونه أسباب الدعة والراحة

ثم شاقته مصر ففى صباح أحد الايام العابسة ، ذهب خلسة الى المحطة وابتاع تذكرة سفر الى مصر فلما أن وصـل الى العاصمة عاودته الذكرى فجلس على أحـد المقاعد وبكى !

لقد بكى الرجل الذى لم تند عيناه من قبل قطرة ، ولم يكن بكاؤه على آثامه الكثيرة ، وانما بكى لأنه ذكر ما حشا به « المنجم » أذنيه من تهديد ووعيد ، وكان ينوى أن

يعود الى بلدته لولا أن هبط عليه صديق يعرفه ، فسرى عنه وحباه — كضيف — صنوف الرعاية والتكريم

وزين له الشيطان أن يتكسب فى القاهرة بحرفته وأن يخلف زوجته وأطفاله الى من لايعرف ، ومن ثم اكترى فى حى « باب الشعرية » حجرة ضيقة في بيت متصدع الجنبات

فى هذا الحى والى جوار حجرة « سيد » تقطن « نبوية » تلك الفتاة التى تدنو الرءوس من الرءوس لتروى قصة ماضيها الغامض !

من هى نبوية هذه ؟

لم يكن يعنى « سيد » بترديد هذا السؤال على نفسه أولا وعلى أحد معارفه ثانيا لولا أنه رآها ذات مرة تنزع حذاءها وتسدده الى صدر امرأة بدينة امتازت في الحى بسلاطة لسانها ووقاحتها ، وكان عراك وصراع انتهى بانتصار أهل « الحتة » لنبوية » وتقلبهم على خصيمتها المعوزة

راح « سيد » يسأل من هى نبوية هذه ، ومن ثم أمسك أحد معارفه بفمه يريد أن يحبس فيه تساؤله ، وذهب يروى له قصتها فى همس وخفوت :

نبوية فتاة نشأت في رعاية أم لاتفقه في الحياة الا تدليل ابنتها والعناية بتزيينها ، حتى نشأت الفتاة ولها مع كل شاب فى الحى قصة مطولة ، وكان أن أحجم المرشحون للزواج عن أن يخطبوها ، فمضت هى تخطب لنفسها بنفسها كل يوم زوجا ، حتى اذا استلانت هذه الحياة واستمرأت عيشها لم تجد بدا من أن تكشف عن حقيقتها وأن تتخذ لها الى جانب من زلت أقدامهن بيتا تشيع فيه الاباحة والاستهتار

وأدركت من هذه الحرفة السيئة حظا . وأصابت منها مالا وفيرا ، فنهنهت نفسها وعادت الى الحى الذى خلفته تقرض أكثر أهله وتتظاهر أمامهم بوفرة المال والغنى حتى تردا ألسنتهم الطويلة عن سيرتها . وقد ابتاعت ثلاثة منازل ثم تزوجت أحد أقاربها وقد رضى عن توبتها وغفر لها ماتقدم من ذنبها

عند هذا نفض « سيد » رأسه مقتنعا بأنه وجد له في الحياة زميلا شاركه فى البغى والاثم . ثم ساجله التوبة والرجوع الى الهدى . فشد على يد صديقه ومضى يفكر وهو موزع العقل مسلول الادراك

واحتاجت « نبوية » فى أحد الأيام الى بنائين يقومون ببناء منزل لها فكان « سيد » واحدا منهم ، ثم كان أن قربت هذه الصلة فى العمل بينه وبين « نبوية » ثم تزايدت بينهما روابط الود والصفاء الى حد بعيد ، وأخيرا أنزلته فى حجرة من منزلها واختارته وكيلا عنها يتولى جباية الايجار من المستاجرين ويقوم بتعهد قضاياها الكثيرة على المدينين

كان على « سيد » وهو فى بداية مرحلة جديدة أن يذكر شيئا مما حاول أن ينساه ، فهو اليوم ينعم بمعاشرة امرأة ذات زوج وقد مدت له يدها بالمال ومنحته ثقة واسعة ، وكان عليه أن يحجم عن الاندفاع فى هذا السبيل حتى لاتصدق نبوءة المنجم ، ولكنه استبطأ نهايته التى حدثه عنها ثم مل انتظارها فلم يلبث أن عاد الى طبيعته الأولى

وهنا تجد مشكلة خطيرة ، عاشق مؤتمن ، وزوج قانع من زوجته بأن تطعمه ، وأم لايهمها من شأن ابنتها الا أن تشبع نفسها بالملاذ والشهوات . وهناك في « بلبيس » أسرة صغيرة مهدمة تعيش بلا عائل ولا عناية ، وقد يكون عجيبا أن تعلم أن العاشق قد أرضى الزوج وحاز ثقته وهكذا حلت المشكلة وانتهت الأزمة

أما الأسرة الصغيرة البائسة فقد وفدت على مصر فى طلب عائلها . وقد اكترى لها « مندرة » فى حى وطنى وكان لايعنى بتعهدها الا نادرا

القاموس العصري
انكليزي عربي
تأليف الياس انطون الياس
الطبعة الثالثة
المطبعة العصرية مصر
صندوق البريد نمرة ٩٥٤

واستمر الوفاق بين الزوج والعاشق المؤتمن طويلا

ويمكن للقارىء أن يفطن الى سر توفق « سيد » الى الظفر بهذه الثقة . اذا عرف أنه قد حذق أيضا صناعة « التنجيم » اذ علمها له المنجم الذى دله على مصيره ، وبهذه الوسيلة استطاع أن يصل الى قلب المرأة التى تحطمت دون قلبها وسائل مئات من العاشقين الهائمين ، واستطاع كذلك أن يستحوذ على عقل الزوج فهو يتهدده دائما بالمردة والشياطين الذين يلازمونه ويخضعون لكل مايشير به

على الرغم من أن « سيداً » كان يعيش راضيا مطمئنا . فقد توثبت في نفسه ذات يوم عواطف الشر والاجرام . فراح يتعجل الثروة المفاجئة . فى حلى الفتاة ونقودها . وأشرك معه الزوج الذى كانت تعاوده بين آن وآن عزمة الراغب فى الثأر لعرضه . ومن ثم اتفقا على أمر خطير

كان هينا على « سيد » أن يستعين على ما يبيته للفتاة التى أخلصت له باثنين من عصابته الماضية ، جاء بهما الى المنزل كضيفين ، وظل ينفق عليهما من ماله الخاص حتى صبيحة يوم الحادث المشئوم

جلس « سيد » فى غرفته يدخن لفافات تبغ حتى ازدحم فضاؤها بالدخان وكان يفكر فيما اعتزمه من أمر جلل ، وطافت برأسه ذكريات النبوة فطردها بعنف وقسوة ، وعندما نزلت « نبوية » من مخدعها دعاها اليه وبعد أن صافحها بيده الآثمة قدم لها لفافة تبغ وبينا هى مشغولة باشعالها هجم عليها واحد من الاثنين اللذين استقدمهما ، وأمسك بعنقها وأكبها على وجهها وما زال ضاغطا على عنقها حتى خمدت أنفاسها وأصبحت بين يديه جثة هامدة

لم يرتع المجرمون لهذا المنظر الذى ألفوه ، ولم تأخذهم رهبة الموقف الأليم ، وانما امتدت أيديهم الى حليها فسلبوه ، وكان قبرها مهيئاً معداً فاحتملوها ثم وضعوها كأنها جالسة القرفصاء ، وكان قبرها بجوة بئر قديم فى جدار المنزل أزالوا منه ما تراكم فيه من مواد ، ثم بنوا عليها كأنه قبر فى احدى المقابر ، التى لا تطرقها الأقدام وكأنهم خشوا أن تفتضح فعلتهم فأحدثوا في الجدار مظهر، يدل على ترميمه ، ومن ثم اقتسموا الغنيمة ومضوا آمنين

كانت الفتاة قد تركت فى المهد طفلا بريئاً طفق يهتف بها أن تغذوه بلبنها ، ولكن الأقدار شاءت ألا تجيبه ، فظل التعس يبكى ويبكى وهيهات أن تمتد الى مسح دموعه يد أم حنون

وطال غياب « نبوية » فسهدت أمها لهذا الغياب وطال عذابها وتألمها فليس فى مقدورها أن تفهم أن والدة تغيب عن رضيعها كل هذا الوقت ، وكأن المقادير شاءت مرة أخرى أن تدلى برأيها في هذه الحيرة فتشممت الأم رائحة كريهة منبعثة من جانب المنزل وأدركتها هواجس وآلام مضنية ، وعندما كاشفت رجال الأمن بما توجست منه ، تتبعوا الرائحة ، وكان الزوج قد عمد الى التضليل فزاد فى رائحة المرحاض، ولكن يقظة رجال

السيدة الرشيقة

لا تلبس الحزام أو الكورسيه الا اذا كان مفصلا على مقاسها فاشترى اذاً حزامك من محل : احزمة فيمينا للسيدات

٢ شارع فؤاد الأول تليفون ٤٩٩٦ عتبة

المركز العمومى محلات

حزام بارير

بميدان الخازندار تليفون ٣٤٩٥ مدينة

تأسست منذ ٣٠ سنة بمصر وخدم خلالها آلاف السيدات والجراحين المستشفيات ومستعد لتلبية الطلبات فى المنازل

الامن دلتهم الى قبر القتيلة ، ومن ثم حضروا فى هذا الجزء البادى للعين بأنه حديث البناء ، وبعد زمن عثروا بها جالسة كأنما تقرأ في قائمة اتهام الجناة

وجهت التهمة الى الزوج فأنكر ، ثم وجهت الى العاشق المؤتمن الموثوق به ، ولكنه كان قد غادر القاهرة الى « بلبيس » فجد المحققون وراءه حتى عثروا عليه فى أحد المقاهى ثملا يدخن الحشيش وكأنه كان يريد أن يروح عن نفسه ضوائقها بهذه السموم التى تضل عقله ثم بض عليه وكبل بالحديد ، وهنا ذكر النبوءة وتمثلت أمام ناظره المشنقة وأيقن أنه صائر الى ما أخبره به المنجم الملعون

لم يشأ المجرم أن يتهرب من إصر جريمته الشنعاء ، بعد أن تزاحمت على مخيلته شتى الذكريات ، وبعد أن كاد يلمس مصيره بيديه ، فاعترف بجريمته ، وأمن على ما وجهه اليه المحققون من أنه باع حلى الزوجة الى أحد « الصياغ » ، وأنه قاسم شركاءه غنيمتهم ، وأن الزوج رمى بنصيبه فى المرحاض !

وبذلك انتهت حياة فتاة غامرت في الحياة بقدر ما سمحت لها تربيتها وأوضاع البيئة التى عاشت فيها ، وبقى من أبطال القصة أربعة ما تزال صفحة حياتهم فى يد القدر

وهناك فى حجرة السجن الضيقة يقعد المجرم العاشق وقد تراءت له أشباح الماضى فهو يطالع من ماضيه ما حاول أن ينساه وقد أطل من بين هذه الأشباح سيف ماض هو سيف الجزاء الذى يترقب حامله الساعة الأخيرة !

عناد المصادفة

قال رجل من بنى الصيدا من أهل الصريم : كنت أهوى جارية من باهلة، وكان قومها قد أخافونى ، وأخذوا على المسالك . فخرجت ذات يوم فاذا حمامات يسجعن على أفنان أيكات متناوحات فى سرارة واد فاستفزنى من الشوق مالم أعقل معه بشىء فركبت وأنا أقول :

دعت فوق أغصان من الايك موهنا مطوقة ورقاء فى اثر آلف
فهاجت عقابيل الهوى إذ ترنمت وشبت ضرام الشوق بين الشراسف

لكنى خرجت فآوانى الليل الى حى فخفت أن يكونوا من قومها . فبت فى القفر فلما هدأت الرجل اذا قائل يقول

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العيشة من عرار

فتألمت من ذلك ثم غلبتنى عيناى فاذا آخر يقول :

ولا شىء بعد اليوم الا تعلة من الطيف أو تلقى بها منزلا قفرا

فزادنى ذلك قلقا ثم نمت فاذا ثالث يقول

لن يلبث القرناء أن يتفرقوا ليل يكر عليهمو ونهار

فقمت فغيرت وركبت متنكبا عن الطريق فلما برق الفجر ،اذا راع مع الشروق قد سرح غنمه وهو يتمثل

كفى بالليالى مخلقات لجدة وبالموت قطاعا حبال القرائن

فاظلمت على الأرض فتأملته فعرفته فقلت:فلان،قال: فلان،قلت :ماوراءك ؟قال:ضاجعت والله رملة الثرى.فما لبثت ان سقطت عن بعيرى فما أفقت حتى حميت الشمس على وقد عقل الغلام ناقتى وقد مضى فكررت الى أهلى وأنشات أقول

ياراعى الضان قد أبقيت لى كمدا يبقى ويتلفنى ياراعى الضان
نعيت نفسى الى نفسى فكيف اذا أبقى ونفسى فى أثناء أكفانى
لو كنت تعلم ما أسارت في كبدي بكيت مما تراه اليوم أبكانى

مرسى افندى يحترف الأدب والتحرير

مشروع خطير

محل تجارة الادب والفنون فى الشعر والنثر والترجمة والتاليف

التقيت بصديقى النحرير (والجم الغفير) أو الأديب الزعبلاوى والقرين المصطفاوى. أو كما يسمى نفسه: الشاب المطيع مرسى افندى عبد السميع

التقيت به على قدر وكنت فى أشد الحاجة الى لقياه إذ كان على غير عادته متهلل الوجه مشرق الأسارير فابتدرنى بالتحية وأبى الا أن يدعونى إلى جلسة هادئة يفضى الى فيها بحديث خطير يتضمن مشروعا هاما قد ملك عليه جميع مشاعره

وكان أكبر دهشتى ان رأيته وقد جلسنا نحتسى قدحين من الجعة أن أخرج من جيبه قبضة من الأوراق المالية جعل يلوح بها أمام عينى وأنا أنظر اليه في ذهول وهو يقول:

— هل علمت قبل الآن أننى احترفت الأدب مهنة وامتهنته حرفة تدر على المال والنضار

— ولكن هذا منطق معكوس ياصاح فما عهدت احتراف الأدب الا رائد الفاقة والاملاق

— هذا ما يلوح لك أنت ومن على شاكلتك من كل أديب (عجر) غير ناضج ولكن الأدباء من أمثالى الذين لا يشق لهم في حلبة الأدب غبار فأولئك الذين يعرفون من أين تؤكل الكتف. وكيف يجدون من الأدب مرعى خصيبا ومنهلا عذب المورد

قلت: ولكنى لم أعهدك قبل الآن أديباً بين الأدباء. قال هذا ما يتبادر إلى ذهنك فأنا منذ خلقت أديبا (مع ايقاف التنفيذ) ولى فى عالم الأدب طرف وبدائع يعجب بها فحول البلاغة. فأنا صاحب كلمة (بدوح) ومبتكر (الخطاب المفتوح) وأول من وفق لأن يضع على غلاف الرسائل كلمة « مستعجل جداً » و « خصوصى ليد حضرته »

زد على ذلك أن لى في المنثورات كلمات مأثورات، فى البديع والاستعارات، وحسبك من ذلك قولى: لقد انبلج فجر الأمل فى مدلهمات الامانى. وأشرقت شموس الغرام المقمرة فى دجى التهانى.

فقلت وأنا أجاريه في هذا التسجيع: هذا خيال رائع وتشبيه بديع ثم صحت أنادى الخادم: ياغلام. علينا بكوبى بيرة (قوام) حتى نشرب بانتظام. على سر هذا الانسجام.

فلم يفطن الأستاذ لهذا التهكم وظننى أبالغ فى اطرائه، وأجاريه فى حسن ابداعه، وبديع اسجاعه، فقال وقد انتفخت أوداجه، وانطرح بمقعده الى الوراء.

— لقد ذهبت البارحة الى جريدة كوكب الشرق فالتقيت بصاحبها الأستاذ عباس حافظ عوض. واسماعيل افندى المازنى والأستاذ محمد افندى العقاد. وكانوا فى حيرة وارتباك وقد وقفت بهم الفكر واستعصى عليهم الخاطر فلم يتسن لهم انشاء المقالة الافتتاحية حتى كاد يستقر بهم الرأى على أن يصدروا الجريدة ومكان الافتتاحية على بياض. فما أن رأيتهم على مثل هذا الارتباك حتى صحت بهم:

— عايزين (افتتاحية) جاهزه والا تفصيل؟

فصاحوا جميعهم فى صوت واحد:

— تفصيل ايه؟. إلحقنا بافتتاحية جاهزة لأن الجرنال اتأخر والعمال متعطلين

ولحسن حظهم ان كان فى جيبى أربع افتتاحيات احداها وفدية والثانية حرة دستورية والثالثة اتحادية والرابعة (اهرامية) أى (مشاع) مع الجميع. وكان من الطبيعى أن يختاروا الأولى فانحلت العقدة وكفى الله المؤمنين القتال

فضحكت كثيرا لهذا الخلط في أسماء أولئك الرجال الأفاضل من الكتاب الأماثل فقلت :

وهل أستطيع أن تفاضل بين الاستاذين : اسماعيل افندى المازنى ومحمد افندى العقاد . ثم ألا ترى أن الاخير ملما (بالقانون) وأنه كثيراً ما يضرب في مقاله على (الوتر) الحساس . فقال وكأنه أدرك معنى هذا التهكم .

ـ لقد ذكرتنى بما كدت أنساه فان محمد افندى العقاد على ما أظن من رجال الموسيقى ويغلب على ظنى أنه يعمل مع أم كلثوم فكيف أتيح له أن يعمل كرئيس تحرير فى كوكب الشرق

ـ ان محمد افندى العقاد هو من خيرة رجال الموسيقى كما أن الاستاذ عباس محمود العقاد هو من خيرة الكتاب وأن صاحب كوكب الشرق هو أحمد بك حافظ عوض والاستاذ المازنى اسمه ابراهيم افندى عبد القادر المازنى وهم من صفوة أمراء البيان الذين يشار اليهم بالبنان وغريب منك وقد انضويت تحت لواء الادب ألا تتعرف الى أعلامه .

ـ انني ياصديقى قليل الخلطة بالناس وخاصة منهم رجال الادب فأجبته على الفور :

ـ دعنا من هذا وحدثنى بسر هذا المال الذى انتهى اليك. هل هو ثمن المقال الذى بعثه للجريدة؟! فسكت طويلا ثم قال : لا أستطيع أن أوضح لك السبيل الذى هيأ لى هذا المال . ولكنى شددت عليه فى الطلب وألحفت فى السؤال فقال بعد تردد :

ـ يسوءنى أن أخبرك بأننى وقعت على هذا المال من طريق اللصوصية والاحتيال .. مهلا لاتعجب ولا تهز كتفيك هزؤا وسخرية . فقد كنت منذ يومين لصا ولكن رغم أنفى .

فقلت : (وكيف كان ذلك) ؟

قال : « زعموا » أنه كان لى صديق يقيم فى طابق أرضى ضمن بيت فى أحد الأحياء الوطنية . وكان قد حصل شقاق بينه وبين زوجته التى تخلت عنه . وقد حسن لديه أن يؤوينى معه بعد أن تخلت عنى زوجتى أنا أيضا

وكنت كثيرا ما أهبط على هذا المسكن فى ساعة متأخرة من الليل فلا أجد صديقى مقيما فيه . فاضطررت في ساعة حرجة لأن أحطم لوحا من الزجاج فى (شعاع) الباب ثم تعلقت بحافته ومددت مقبض عصاى من تلك الثغرة التى أحدثتها فرفعت المزلاج فانفتح الباب على مصراعيه

وكانت هذه هى الطريقة السهلة التى ألجأ بها كلما علمت أنه يبيت خارج الدار

قلت وماذا حدث بعد ذلك ؟ قال :

ـ حدث أننى سافرت مع أحد أبناء الأعيان الى رأس البر ولبثت هناك زهاء شهر ولما عدنا لم نجد مانخفف به المشقة ويقصر الشقة غير الشراب فأفرطنا فيه وكان هذا شأننا عند ما هبطنا مصر

وذهبت الى البيت فألفيته مظلما فلم يداخلنى شك فى أن صديقى سيبيت خارجا . وعندها لم أتردد في أن أدخل بهذه الوسيلة التي تذرعت بها من قبل ثم ارتميت على مقعد طويل بغير أن أخلع ثيابى

ولقد رأيت تغييرا كبيرا فى أثاث البيت فلم يتبادر الى ذهنى أن يكون صديقى قد ارتحل عنه وحل محله شخص آخر

وفيما أنا أغالب النعاس . سمعت حركة رأيت على أثرها رجلا يدخل الدار وهو يترنح بتأثير الشراب . وان هى الا هنيهة حتى انتفض واقفا أمامى في صورة عملاق عظيم وقد فغر فاه كأنه عميد طائفة (اللطوخ) أو تمثال نهضة طوخ .

فما ان رأيته على هذه الحال وهو يلوح بيده فى الفضاء ويحاول أن ينزع ثيابه . وهو لا يلتفت الى حتى أدركت أننى فى بيت غير بيتى وأن صاحبى قد غادر هذا المكان . فلم يسعنى إلا أن أدفعه بكلتا يدى فسقط على الأرض لايئن ولا يتحرك . وخرجت من نوى فاذا امرأة تعترضنى عند الباب الخارجى وهى لاشك زوجته، غير أنها كانت أقل منه تأثرا بفعل الشراب فما ان رأتنى حتى أمسكت بتلابيبى وحاولت أن تصيح لولا أننى كتمت أنفاسها باحدى يدى ودفعتها بالأخرى فجندلتها على الأرض وأخذت طريقى مهرولا حتى اجتزت الطريق المؤدية الى البيت . ومن ثم سمعت صياحا وولولة ورأيت أناسا يهرعون الى ناحية الصوت فاندسست بينهم وأخذت طريقى سمتهم

وقد سمعت المرأة تقول أن لصا قد انسل الى بيتها وحاول قتلها، ولكنه فر هاربا بعد ان نشل من معصمها سواراً من الذهب والماس يقدر بخمسين من الجنيهات

فارتعدت فرائصى لهول هذا الموقف وأدركت انني ذلك اللص الذى كنت أحاول قتلها حسب زعمها وان كانت يدى لم تمس هذا السوار .

ولقد أدركت خطورة المأزق الذى قذفت بنفسى اليه بعودتى الى البيت على أثر الصياح . اذ ما كدت

فقلت مقاطعا : وهل يوجد شعر بغير قافيه

— ان كلمة بلا قافيه هى من مستلزمات التأدب في الحديث، على حسب قول العامة . ثم من جهة أخرى ماالذى يمنع أن يكون الشعر الجاهز عندنا بغير قافية. ثم نركب له القوافى بعد ذلك حسب مايتطلب الزبون كما نركب الأزرار فى الثياب بعد التفصيل والخياطة

وجعلت أحاوره وأداوره وأستدرجه بالاطراء حتى رأيته ينشدنى أبياتا للمتنبى وأبى فراس يعزوها لنفسه كل ذلك وأنا لاأعارضه فى ذلك الى أن أنشدنى مطلع قصيدة ابن الجهم بعد أن حور فيها بعض التحوير وأدعاها لنفسه بل زاد على ذلك ان هذه القصيدة ستكون درة معروضاته فى المتجر الأدبى . وقد استهلها بقوله :

عيون المهى بين (الجزيرة والكوبرى)

جلبن (لى) الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

قلت : هذا مطلع لقصيدة ابن الجهم وأنت تدعيه لنفسك

فأجابنى : ابن الجهم مين وغيره مين ؟ هو الشعر يتشابه !! دا من توارد الخواطر فقط . والا انت فاكر ان فى مدة ابن الجهم ده اللى بتقول عليه كان فيه جزيرة وكوبرى والا قصر النيل

— لا يا سيدى دا مطلع ابن الجهم وانت محور فيه وزياده على كده انه مكسور يعنى مش موزون

— يفتح الله ياسيدى دا موزون على (الكسترة) وان ما كانشى عاجبك الميزان اوزن بره

— ان كلمة (لى) الموجودة في عجز البيت زائدة وهى التى كسرت الشعر وأما أصل البيت فهو :

عيون المهى بين الرصافة والجسر

جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

وأما الشعر الذى نرويه فهو غير مستقبح مع ميزان الشعر

— أنا ياعم لاأعرف ميزان ولا سنجه انت عندك (الدوبل ديسى) تقدر تقيس الشطره الأولى على التانية بالسنتى فاذا وجدت واحده زايده ملليمتر يكون لك حق لأن الشعر بالقياس مش بالميزان ، ومن جهة أخرى فأنا ابتكرت طريقة جديدة لقرض الشعر .

فقلت على الفور : وماهى هذه الطريقة؟

— اكتب مثلا عشرة اسطر تحت بعضها بحيث تكون على مقاس واحد ثم امح النصف « بالاستيكة » ليكون لديك سطر عمودى (بياض) فتكون قصيدة رائعة بغير أن تقيد نفسك بوزن اوقافيه وهذا مايسمونه بالشعر المطلق .

ومازال يخرف مثل هذا التخريف وأنا أجاريه في قوله وهو يسهب فى وصف مشروعه بما لا يسعه المقام ولقد سألته أن يعرض على بعض (بضاعته) مما يعرضه على الزباين فى الدكان فأبى واستعصم ولج في الاباء وهو يقول :

— وهل حسبتنى أبله الى هذا الحد حتى أعرض فكرتى على رؤوس الاشهاد حتى تذاع فى أعرض البلاد ؟

قال هذا وهو لايدرى أنى نقلت متجره بجملته من واد الى واد ، وحملته بغير أن يشعر الى قراء مجلة «شهر زاد»

أرجو ملاحظة أن « الجديد » هى المجلة التى تستطيع أن تتركها فى يد حرمك وأولادك وأنت آمن مطمئن

العقد السحرى

تملكتني الدهشة حقا حين التقيت بنانيت وأنبأتنى فى صوت خلوب ساحر أنها ستبلغ بعد يومين الحادية والعشرين من عمرها وانها ستدعونى الى الاشتراك فى الحفلة التى ستقيمها احتفالا بعيد ميلادها.

وكنت أعرف نانيت وهى فى العاشرة من عمرها فكان من المتعذر على أن أتصور أنها بلغت هذه السن وأنها أصبحت فى الحادية والعشرين من عمرها. ولكأنى بها لا تزال تمرح وتلعب وهى فى تلك الثياب القصيرة التى يرتديها الأطفال وشعرها يتهدل على وجهها الملتهب حمرة من اللعب.

ثم قالت نانيت

— مالى أراك مشدوها يا جدى العزيز ؟

ولا حاجة بى الى القول إنى لست جدها حقا وإنى لا أبلغ هذه السن الرهيبة المخيفة، كلا فانى فى الحادية والثلاثين من عمرى فلست بأكبر من نانيت إلا بعشر سنين ولكن نانيت كانت تحب أن تناديني بهذا اللقب (الرهيب الجليل) لتمازحنى تارة وطورا لتغيظنى. لقد كنت وأيم الحق أتضايق من هذا اللقب الذى كانت تخلعه على دائما وبخاصة وهو صادر من بين شفتيها.

وقلت لنانيت.

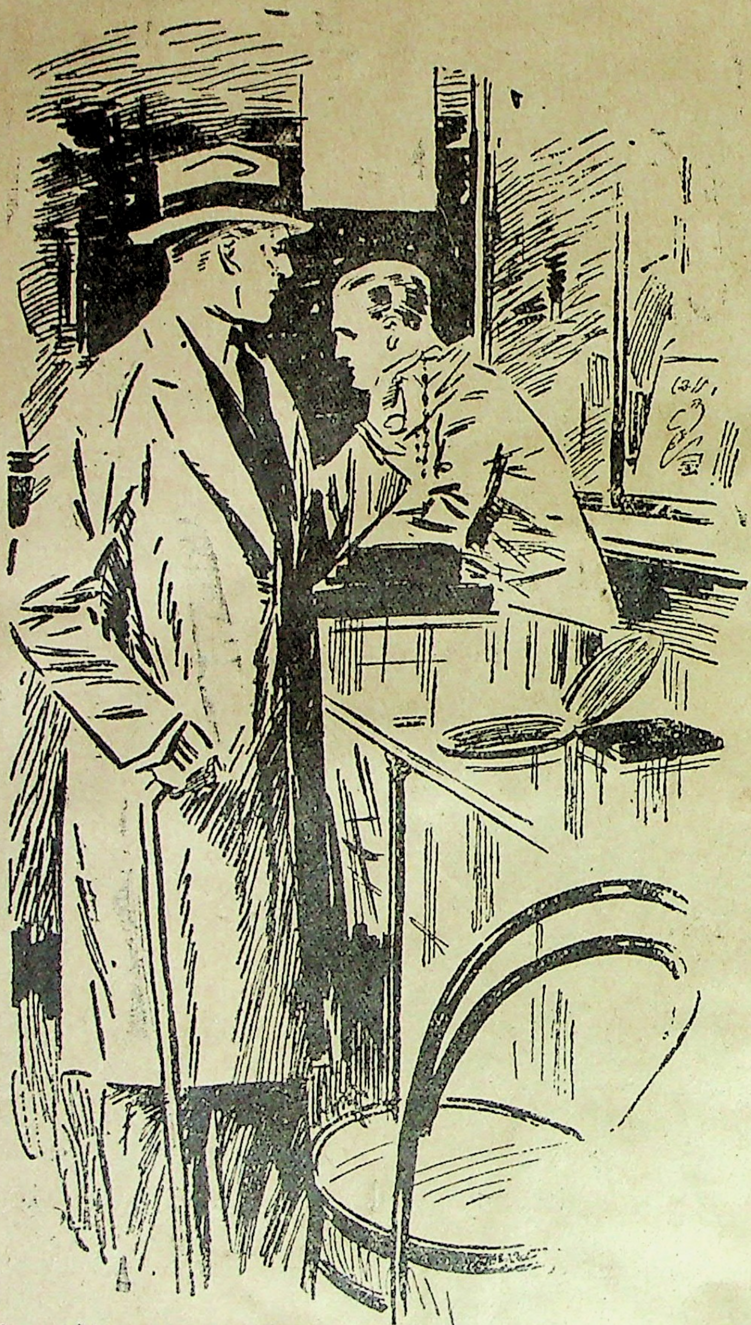

وما انبثق صباح اليوم التالى حتى ذهبت الى خير حوانيت الجواهر فى المدينة محاولا أن أعثر على هدية حقيقة بأن تقدم الى نانيت

— بل يا ابنتى العزيزة فانى أكاد أحسب أننى كنت بالأمس القريب أصلح ألعابك وعرائسك وأجلس بجانبك على الفراش لأقص عليك

انصرف عنهم وأسير بضع خطوات حتى استلفت نظرى شيء يلمع على صدرى فتبينته فاذا هو ذاك السوار وقد علق فى عروة من صداريتى . وعندها أدركت أن السوار قد انتزع من يدها وهى تحاول القبض على إذ اشتبك بعروة من عرى ثيابى

وكنت قد قطعت مسافة بعيدة فأخفيت السوار فى في جيبي ووقفت متردداً تتنازعنى عدة عوامل : هل أركب مركب الطيش فأعود اليهم بهذا السوار وقد طوحت بنفسى الى مهاوى التهلكة ، أم أذهب الى دار الشحنة فأقص عليهم مفصل الأمر وأسلمهم السوار . وفى ذلك من الخطر مافيه

ثم ما الذى يمنعني وقد وقع هذا الكنز في يدى غنيمة باردة من أن أتخذه اداة لتفريج كربتى وتلطيف لوعتى وأنا في أشد الحاجة الى مليم من ثمنه وهكذا فعلت .

هذه خلاصة قصتي ياصديقى وان كان يؤلمنى أن يكون رأس مالى فى سبيل العيش مالا مسروقا وصل الى من طريق غير مشروع

فما كدت أسمع منه هذا القول حتى مضيت أقول له :

ــ هون عليك ياصاح فان هذا العمل أول بوادر النجاح ثم أهنئك بهذا الفوز خالص التهنئة اذ أنت متحفز لخدمة الأدب وهو فى عرف الكثيرين نهب مباح ومتاع مستباح بل هو غنيمة كل لص مغتصب من أدعياء الأدب فاذا كنت قد وقفت فى جريمة يعاقب عليها القانون فلا شك أنه سيكون لك القدح المعلى فى استلاب مالا خوف على اللصوص فيه ولا هم يحزنون

قال : أهذا شأن الأدب عندكم فى العهد الأخير ؟

قلت : أجل

قال : اذن فانى أبشرك بأن أكون فارس الميدان والمجلى فى حلبة الرهان .

فقلت : وكيف ذلك؟ قال :

ــ انى أبز كل شاعر وناثر وانى أضرب فى الأدب بسهم وافر . واذا كان الكاتب العمومى يتقاضى خمسة قروش على كلمة (لاسيما) وهى من الساقط المبتذل فكم يدفع لى الزبون في كلمة (بيد أن) أو (بخاصة) و (فحسب)

ثم انى أجيد طريقة المجددين من المتظرفين والمستحدثين فأستطيع أن أقول كقولهم : « أيها الخجل أين حمرتك ؟ ، وأيها الجمود أين زرقتك »

ــ إذاً فأنت تريد أن تكون أديبا متجولا تحمل على عاتقك قمطرا يضم كثيرا من المقالات وشتى المواضيع من منظومات ومنثورات فتمر بها على إدارات الصحف ينتقون منها مايروقهم نشره .

ــ لا ياصديقى فهذا وهم باطل وجيد عاطل . خصوصا وانى أعرض عملى للامتهان بعلة العرض وكل معروض مهان . ثم انى من جهة أخرى أكون مستهدفا لتحرش البوليس بى ومصادرتهم لبضاعتى بعلة مزاحمة الطريق اسوة بالباعة المتجولين . ولكننى سأفتتح دكانا أعرض فيه هذه الأدبيات كما تعرض البياضات والدانتلات فى دكاكين الخردوات . . .

قال هذا ودفع الى نشرة مطبوعة يقول فيها :

«بشرى للأعزاء من أبناء وطنى الأدباء

لقد عزمنا بحول الله وقوته على أن نفتتح دكانا لبيع المقالات الأدبية والسياسية . والمباحث العلمية . والبدائع الفكاهية . والروايات التمثيلية . من درامية وكوميدية وفودفيلية . وروايات قصصية مترجمة وتأليفية . وصور رمزية . وقصائد هجائية وأخرى غزلية . ومراث تراجيدية وتهان كوميدية . وأزجال سندسية . ومفارقات كارنفالية ومناظرات خنفشارية . ومعان وهمية .

وقد جعلنا أثمانها زهيدة جدا بحيث لايزاحمنا فيها أحد سواء منها ماينشر باسم الادارة أو باسم الزبون .

كما أننا أنشأنا ورشة لترقيع الروايات القديمة وتصليح المقالات السقيمة والقصائد المهشمة العقيمة ، بواسطة عمال ماهرين من أكابر الأدباء والشعراء

وازيادة الحرص فى كتمان أسرار الزبائن المترددين على محلنا فقد أنشأنا لهم بابا خلفيا خفيا بحيث لايرى المترددين علينا أحد فى الدخول أو الخروج

فشرفونا بزيارتكم وعند الامتحان يكرم المرء أو يهان »

فضحكت طويلا لهذه الفكرة الغريبة وقلت زدنى بيانا بمحتويات هذا الدكان .

ــ فقال : هب أن هذا الدكان مثال مصغر لمخازن سمعان فهناك تجد باترينات لعرض المعروضات . فكذلك عندنا تجد أمثلة لبعض الكتابات . واذا كان عندهم قسم للبياضات والدانتلات . فعندنا قسم الفكاهات والمفارقات التى تعتبر عندنا بمثابة الخردوات

زد على ذلك أن البضاعة عندنا ستكون من نوع (الجاهز) والتفصيل بما يلائم طلب الزبون ومايتناسب مع لون الطلب ومقاسه . فان الشعر مثلا سيكون من الجاهز عندنا بلا قافيه . . .

القصص العجيبة الخرافية .

فتبسمت وقالت :

— بعد تسعة أعوام حين ادعوك « لحفلة الجيل »

أحسبك ستقول انى كنت بالأمس أدعوك لحفلة ميلادي فى الحادية والعشرين من سنى وكيفما كان الأمر فلا أظنك إلا قادما الينا يوم . الاربعاء . أليس كذلك ؟ أنت تعلم أن هذا واجبك

— سأكون مسروراً ولن أتخلف عن هذه الحفلة ولو فقدت كل مافى هذا العالم .

— بديع . فى الساعة الثامنة من يوم الاربعاء إذن وإياك والتأخير .

وما أنبثق صباح اليوم التالى حتى ذهبت الى خير حوانيت الجواهر فى المدينة محاولا أن أعثر على هدية حقيقة بأن تقدم إلى نانيت .

ويظهر أن البائع لم يدرك الغرض الذى كنت أرمى اليه فأتى الى بطائفة من الخواتم كأنني أريد أن أقدم خاتما لخطيبتى وكان هذا منه خطأ رهيباً ، لا لأنه أخجلنى البائع بذلك أمام من كان فى الحانوت من المشترين الذين نظروا الى نظرة تهجية سخيفة ، بل لأنه أثار فى نفسى شعوراً كنت أحسب انى استطعت أن أقضى عليه وبعثه من قبره : فرحت أتخيل نفسى أضع أحد هذه الخواتم الجميلة فى أصبع رخص من أصابع نانيت الفاتنة الرشيقة

ولو كان القدر أكثر رفقاً بى لكان من المحتمل انى فعلت ذلك ، غير أننى كنت قد نكبت نكبة أليمة فى ربيع عام ١٩١٨ فى ساحة الوغى بالميدان الفرنسى فهشمت ساقى ، ولم يكن من المظنون بتاتاً انى سأستطيع السير على قدمى كما كنت من قبل . ولكن الزمن كفيل بـ « جبر الخاطر » فأصلحت ساقى حتى استطعت أن أسير متكئا على عصاى . بيد أننى على الرغم من ذلك كنت عرضة لنوبات ألم شديدة فاذا ما انتابتنى استلقيت على ظهرى ورحت أضج من الألم وأصرخ وأبكى حتى تذهب النوبة . وما دمت عرضة لمثل هذه النوبات فلا أحسبنى حقيقا بالزوجية ، وان كان الأطباء كبيرى الأمل فى انى سأعود الى حالتى الطبيعية على مر الأيام

وفوق هذا فان من الظلم الفادح أن أقيد غادة حسناء فاتنة الى رجل مثلى مشوه القامة ، ويضج من الألم من حين لحين . ولهذا كله دفنت شعورى فى زاوية مظلمة من قلبى وحاولت أن أصبح أخاً لها وان كان من العسير أن يصبح الانسان أخاً لا زوجا لمثل هذه الفاتنة الحسناء

وأعاد الرجل هذه الخواتم الى مكانى وأتى الى بطائفة أخرى من الحلى فوقعت عينى على الفور على عقد ذهبى نسقت فيه ستة أحجار مختلفة الألوان متباينة الاصباغ رائعة الحسن

ولقد كان العقد حقا هدية جميلة فوددت فى تلك اللحظة أن أراه حول عنق نانيت الجميل وسرعان ما اشتريته ودفعت الثمن ثم أخرجت بطاقة كتبت عليها كلمات التهنئة ، وطلبت الى الرجل أن يرسل العقد والبطاقة معاً اليها فى اليوم التالى

وذهبت فى الموعد المضروب تماماً الى الحفلة فاذا بالدار تتألق بالانوار وتموج بالثريات وتزهو بالزخارف النباتية والزهرية الرائعة واذا بجوقة موسيقى تعزف أشجى الألحان وأعذبها والناس يرقصون وقد وضعت ستائر هنا وهناك لتجعل من الدار غرفا صغيرة يلجأ اليها المدعوون

وازدحم الشبان الذين أسعدهم الحظ بالتمكن من الرقص حول نانيت فلم أجد المجال يسمح لى بالاقتراب منها ولكنها كانت قد رأتنى فعمدت الى التخلص منهم والانسياب الى . بارك الله فيها انها لا تنسى ما نكبت به وما يحول دون رقصى

وأقبلت نانيت فقالت لى :

— لقد خصصتك برقصة العشاء فانتظرنى بجانب باب المكتبة لنقضى هذا الشوط فى الحديث معاً

وأقبل شاب من الراقصين فلم يتح لها أن تقول أكثر مما قالت .

وخلت أن دهوراً انقضت حتى جاء دور رقصة العشاء وكنت قد قضيت وقتى فى الحديث إلى السيدات العجائز اللواتى لم يكن يرقصن حينا ، وفى الجلوس فى الشرفة وحدى أدخن حينا آخر حتى جاء الوقت المحدد فذهبت الى باب المكتبة .

وجاءت نانيت فى الموعد تماما فدخلنا إلى المكتبة وكانت مظلمة إلا من شعاع من ضوء القمر ينساب من نافذة مفتوحة مرفوعة الستائر .

ومددت يدى أحاول البحث عن « زر » النور الكهربائى فاذا بها تقول

— كلا لا تفعل ولنجلس بجانب النافذة . إن الليلة جميلة . أليس كذلك ؟

فوافقت وإن كنت فى الواقع أود أن أجلس معها فى الزاوية الأخرى من الغرفة وأن أضىء الأنوار وأسدل الستائر وأروح أمتع ناظرى بحسنها على انفراد .

ولقد كان من وراء انسياب ضوء القمر إلينا وعبير الأزهار وطلعة نانيت الفاتنة أن أحسست بإحساس خفت ألا أستطيع أن أقاومه ، وتدفقت من فمى ألفاظ ما كنت لأود أن أنطق بها .

وساد صمت قليل كنت فى خلاله أحاول أن أجد ما أتحدث به ولكنى فشلت ويظهر أنها كانت تنتظر منى بدء الحديث وأخيرا اضطرت الى أن تتكلم فقالت

— أود أن أشكرك شكرا جزيلا على هديتك يا فرانك

— هل أعجبتك إذن ؟

— لقد أحببتها

— هذا حسن . ولقد كنت واثقا أنها تلائمك تماما وكنت أرجو أن أراها فى عنقك الليلة

فنظرت الى نانيت نظرة ودية حلوة وقالت

— لقد حفظتها معى حتى تضعها بيدك حول عنقى .

وفجأة قالت نانيت : ألست عازما على تقبيلى ؟ انك تستطيع ذلك اذا احببت

وهى الآن مى وأنك لتستطيع تقليدى إياها اذا احببت

وبعد لحظة كانت العقد يضىء فى عنقها .

وفجأة قالت نانيت

— ألست عازماً على تقبيلى ؟ أنك تستطيع ذلك اذا أحببت

وكنت قد فغرت فمى اندهاشاً وعجباً وعادت نانيت

تقول فى حياء

— لقد فهمت لتوى . وأحسب أن هذه الطريقة

التى اتبعتها مى « احلى » الطرق فى الافضاء الى بما تريد

فسألتها وأنا مشدوه خالى الذهن مما ترمى اليه

— الافضاء اليك بماذا ؟

— الافضاء الى بحبك طبعاً أيها الخبيث

وتبسمت ثم راحت تشير الى الاحجار الكريمة واحداً

بعد الآخر وهى تقول :

— ماس وزمرد وجمشت وياقوت احمر وصفير

وطوباز (واذا جمعت الحروف الاولى كانت Dearest

أى يا أحب الناس الى . أليس كذلك يا فرانك ؟ وهل أنا

حقا أحب الناس اليك ؟

وأصبت فى هذه اللحظة بدوار . لقد بعثت الى نانيت

بتذكار حب دون أن أعلم ودون أن أقصد . ولقد كانت

هذه المحاولات قديمة العهد . فكان الناس فى الزمن الغابر

يرسلون الى أحبائهم بمثل هذه التذكارات الحية تحمل فى

باطنها معنى مقصوراً .

ولكنى لم أكن أعلم انني ظفرت بواحدة من هذه

التذكارات الحية العجيبة ، وما كنت لأتصور أننى أعثر

على شىء منها فى هذا العصر وعادت نانيت فكررت

قولها مرة أخرى :

هل أنا يا فرانك حقا أحب الناس إليك ؟

وجالت فى ذهنى حقيقة أخرى هى أن نانيت لم تكن

ساخطة من هذا التذكار الحى بل طلبت الى أن أقبلها

وسرعان ما انحنيت فوقها وطبعت على فمها قبلة غرام

دفين ثم قلت :

— بلى . انك لكذلك . بل أنت أحب شىء فى

هذا العالم الى نفسى

فتنهدت نانيت تنهد السرور وقالت :

— ولماذا لم تنطق بذلك من قبل ؟ لقد ظللت منتظرة

منك هذا القول أحد عشر عاما

— أحد عشر عاما ؟ !

فقالت وقد هزت رأسها بالايجاب :

— نعم . منذ أن عرفتك وأنا فى العاشرة من عمرى

آه ما أطول الزمن الذى أضعناه هباءاً !

ولم أستطع طبعاً أن أنبئها انه لولا هذا العقد السحرى

العجيب لضاع العمر — أو أغلبه على الأقل — دون

الافضاء اليها بلفظ مما دفنته فى أعماق قلبى

ولكنى عدت فتذكرت حالتى فقلت لها :

— ولكنى يا حبيبتى رجل مريض وأحسب انك

ستضطرين الى حمل عبء ثقيل فى بعض الأوقات ولهذا

فاننى ......

ولكن نانيت وضعت يدها على فمى حتى وقفت

واستطاعت أن تغلق شفتى بشفتيها

وأعلنت خطوبتنا فى تلك الليلة

حيرة ابن ملك

قالت رينيت الراهبة

— ولكنني لم أكن أفعل سوءاً يا أختى . ان المكان مظلم . مظلم جداً كما تعرفين وكان الفتى. جميلا و .. و .. وقد أعاد الى كتابى الذى سقط من فوق الحائط . فلا أحسبك ستنبئين الرئيسة مثل هذا الأمر التافه . أليس كذلك يا أختى ؟

وراحت الراهبة الطويلة البدينة ترمق الفتاة المذنبة بنظرة فاحصة ورأت فمها الحلو الجميل الذى كان يخرج مثل هذا التوسل الرقيق ، وكانت الراهبة مارى تيريز تعلم علم اليقين ما كان لمثل هذا المكان الموحش الخرب من الأثر الفعال فى طبيعة هذه الفتاة التى هبطت الى هذا الدير من أسرة عريقة فى المجد اعتادت الملاهى والمسرات وان كان الدهر قد أناخ عليها أخيراً بكلكله . وأخيراً قالت لها :

— ليس من حسن اللياقة ياطفلتى أن تتحدثى الى شاب غريب فى مثل هذا المكان ولو علمت الرئيسة بذلك الأمر لثارت غاضبة ساخطة ولكني سأنسى خطأك هذه المرة — إذ لم يحدث ضررما — على ألا تعودى الى ذلك مرة أخرى . هيا بنا فان جرس الصلاة يدق .

وتبعت الفتاة الأخت مارى تيريز الى الدار حيث كان الجرس يدق دقا موسيقى الألحان

وكانت الفتاة مضطربة مشدوهة على الرغم من أن ذنبها قد اغتفر إذ كانت تعلم ان ذلك الحديث الحلو الشهى الذى كانت تتبادله مع هذا الشاب الأجنبى الجميل قد انقطع ولن تستطيع الاستمتاع به مرة أخرى . نعم لن ترى بعد اليوم ذلك الفارس الجميل الذى كان يقف فى الجانب الآخر من السور فوق صهوة جواده فى حين تعتلى هى شجرة الكريز وتميل على السور المنخفض وتبادله أشهى الأحاديث . ومن المحتمل أن يأتى غدا ولكنها لن تستطيع أن تكون فى انتظاره اذ كانت لاتجرؤ على ذلك بعد هذا الانذار الأخير وكانت على يقين ان المراقبة ستشتد عليها بعد هذه الحادثة

وقد تكون الفتاة قد أحست بوخز الضمير وهى جالسة بين زميلاتها بنات النبلاء والأشراف اللواتى يحطن بها ويستمعن معها الى الأناشيد

ولم تكن الفتاة فى الواقع قد نطقت بالصدق حين قالت للراهبة ان الشاب الأجنبى قد أعاد اليها الكتاب الذى سقط من بين يديها اليوم وان كان هذا ماحدث بالضبط فى المرة الأولى ولم تنطق بالصدق كذلك حين قالت انها لم تره الا اليوم

وهى بعد لاتعرف اسمه وهو لايعرف اسمها ولكنها كانت تلتقى به كل يوم حين تنتهى الدراسة وتذهب الفتيات النبيلات فى أرجاء الحديقة الفسيحة متنزهات

وكان الفتى يبلغ من العمر التاسعة عشرة وكان مثلها موحش الروح فانجذب اليها . وكان يقول لها فى هذا اليوم .

— بودى أن آخذك أمامى فوق صهوة الجواد وأذهب بك بعيداً عن هذا المكان يارينيت

وضغطت الفتاة على يده وقد شاع السرور فى وجهها والغبطة فى كل أنحاء قلبها وهو يهوى على يدها بالتقبيل مرة فأخرى فثالثة فرابعة ثم قالت له :

— ثم بعد ؟

— نعيش في دار صغيرة واقعة على ضفاف النهر ويحب بعضنا بعضاحبا جما

ثم ضحك ضحكة خجولة

— اننى لاأعرف شيئا عن الحب

— لاأحسب اننى خير منك ولكنى أحس اننى أستطيع أن أعلمك

— ان الحياة تكون سعيدة فى دار صغيرة تحيط بها حديقة جميلة . واننى أمقت الدور الكبيرة

واقترب الى السور قليلا وان ظل هذا السور سدا منيعا وعقبة كؤوداً بينهما ثم قال فى صوت خافت أشبه بالهمس

— رينيت انك حلوة جميلة

ونظر اليها بعينيه نظرة تنم عن التماس أمر، وأحست بدافع لا تدرى كنهه ولاتعرف معناه يضطرها الى مد عنقها نحوه حتى قارب وجهها وجهه فأمسك برأسه بيده وراحت شفتاه تلمسان شفتيها حتى التقت الشفاه وتمخضت

عن قبلة معسولة شهية . ورفعت رأسها وانبعث من الفتى تنهد عميق ثم برقت عيناه بريقا حلواً عجيبا .

وفجأة أحست الفتاة بوقع أقدام تقترب من شجرة الكريز فنظرت خلفها ثم الى الفتى وقالت

— اذهب . اذهب سريعا . ان أحداً قادم

وترددت هذه القصة في ذهن الفتاة وهي جالسة تفكر ومر طيفه ثم جالت فكرة أخرى في ذهنها . . فكرة كفيلة أن تنبئه بما تريد

***

ووقف الجواد في المكان المعهود في اليوم التالى واعتلى الفارس صهوته منتظرا ، ومرت اللحظات دون

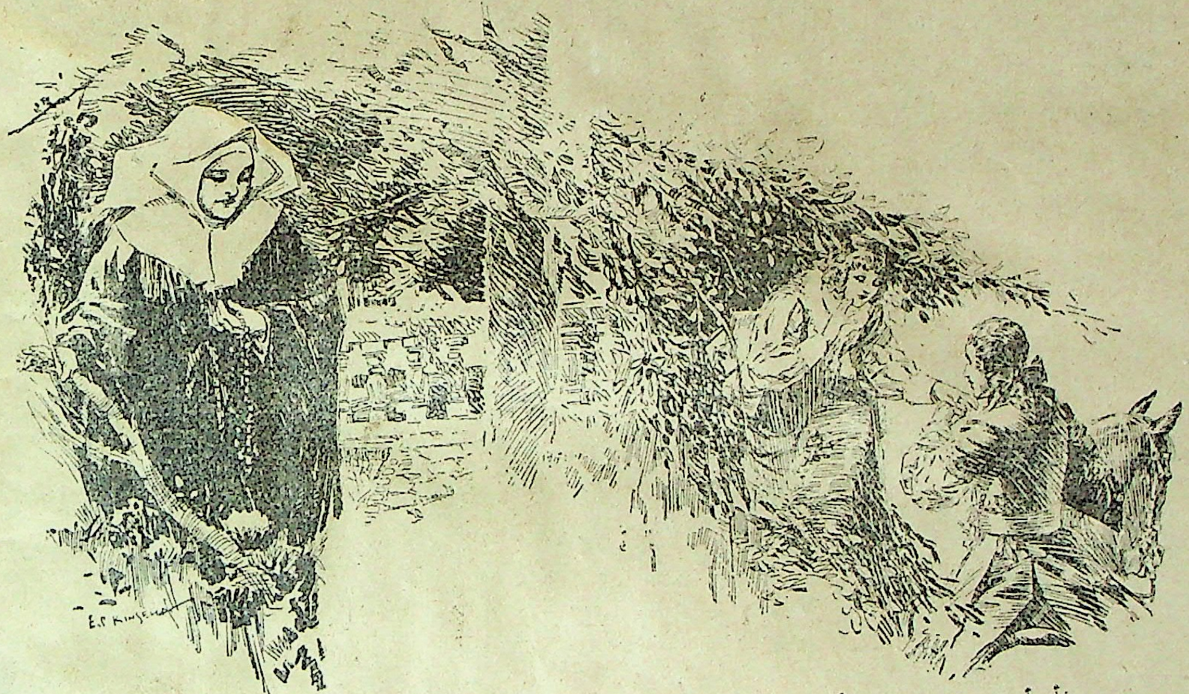

وفجأة أحست الفتاة بوقع أقدام تقترب من شجرة الكريز فنظرت خلفها ثم الى الفتى وقالت :
— اذهب . اذهب سريعا . ان أحدا قادم

أن تطالعه تلك الطلعة الفتانة وذلك الوجه الساحر الجميل من بين أفنان شجرة الكريز . وجعل ينصت مدة طويلة عساه يسمع وقع أقدام ولكنه لم يظفر بشيء . وأخيراً دفع بجواده الى السور وعزم على أن يتخطى هذا السور الى داخل الحديقة متخذا صهوة الجواد سلما وهم بتنفيذ هذه الفكرة . فوضع يده فوق السور ليمسك به وكاد يرفع قدمه لولا انه أحس بشيء لين تحت أصابع يده الممسكة بالسور وكان طرف أبيض من هذا الشيء مطلا من فوق السور ، ظنه لأول وهلة زهرة بيضاء

فلما سحب هذا الشيء وجده منديلا صغيراً ناصع البياض قد لف على ورقة مطوية ويظهر انها منتزعة من أول كتاب أو اخره إذ كانت مذهبة الأطراف مستديرة الزوايا وفتح الورقة وقرأ مانصه

« قد لا أعود مرة أخرى فقد أرسل الى أبي يدعوني ولكني سأحضر الى هنا بعد انقضاء ثلاثة أعوام بالضبط تبتدىء من اليوم رينيت

ولما تذكر أن يلقى نظرة على المنديل رأى تاجا صغيرا مطرزا في أحد جوانبه .

***

— أن ما تبغيه سموكم أمر مستحيل تماما اذمن المحتمل جدا أن يكون من ورائه فضيحة شنعاء وليس من المعقول أن يقوم أمير ملكي بمثل هذا العمل الجنوني في اليوم السابق ليوم زواجه فرجائي اليكم ياسمو الأمير أن تنظر في الأمر مرة أخرى .

ونظر الوزير وهو ثائر الى الأمير الذي كان جالسا فوق طاولة ويضحك لاغاظة الوزير ثم قال ،

— لن أنظر مرة أخرى في شيء بتاتا . ولماذا أنظر ؟ لا ريب أن لي مطلق الحرية أن أفعل ما شاء في هذا اليوم الأخير . ولكم في الغد أيها المركيز أن تفعلوا معي

ما تريدون فتقودوننى فى أغلالى وقيودى الى عروسى ولكم اذا أحببتم أن تقوموا معها بتمثيل دور الحب بالنيابة عنى اذا سركم تمثيل هذا الدور الثقيل . أما اليوم فهو ملكى فلا تستطيع أنت وفرسانك ورجالك جميعا أن تنتزعوا هذا اليوم منى

وعلى الرغم من هذا العبث في حديثه فقد كانت في صوته نبرة العزم الأكيد، كان من أثرها أن داوره المركيز من ناحية أخرى فقال

ــ وماذا يكون لو أنه حدث لكم حادث ؟ ان سموكم تعلمون كما يعلم كل انسان أن الناس قلقون الآن ...

ــ ان الناس قلقون دائما يامركيزى العزيز فلن يحول هذا دون عزمى ولو أننا أردنا الانتظار حتى يهدأوا ويسكتوا لطال بنا الانتظار حتى نصبح كهولا قد وخطنا المشيب ولا نكترث إذ ذاك لأمر تافه كهذا الأمر الذى نحن بصدده الآن .

ــ ولكن يا أميرى ان اليوم السابق ليوم زواجك ليس هو الوقت الملائم ...

ــ إذا كان عليك أن تدبر خيرا من ذلك ياعزيزى لقد أنبأتك منذ نيف وشهر ، انى فى اليوم العشرين من شهر مايو سأختفى طوال اليوم . أما الى أين أنا ذاهب فهذا من شؤونى الخاصة

ــ وإذا علم الملك ...

ــ لا حاجة بالملك أن يعلم فاننى سأعود فى المساء لأتناول العشاء معه.

وانحنى الرجل للأمير وقد انطلق تنهد عميق من قلبه وتبعه بأنظاره وهو يخطو الى الباب إذ كان يحب الأمير حبا لم ينله ولد من أولاده ، وعجب أنه لم يجد فليب مارى قط عنيداً كما هو اليوم

وكان الأمير يبادل الوزير هذا الود العظيم فلما ان وصل الى الباب تريث قليلا ثم أدار الى الوزير وجهه- ذلك الوجه الجميل الطبيعى الذى لم يحطه الشعر المستعار، ونظر الى الرجل الكهل الذى خضعت ارادته للمرة الأولى لارادة الأمير الشاب ثم قال

ـ اسمع يا عزيزى . اننى ذاهب الى موعد مع ... مع سيدة . سيدة صغيرة رائعة الحسن . ولقد تعطفت على فأعطتنى هذا الموعد منذ ثلاث سنوات

ثم نظر الى الكهل ولما التقت الأعين قال الأمير :

ــ اننى أراهن بألف جنيه اننى أعرف ماجال فى ذهنك الآن ولكنك مخطىء هذه المرة .

ــ لاأحسب اننى ألام ياسمو الأمير على ماظننت على اننى أعجب لامرىء يعنى بمثل هذا الأمر الذى سيمر به مر السحاب ولا يعبأ بالمرأة التى ستكون زوجته و . . .

ــ ليس هناك أمل كبير في الزوجة أيها العزيز . لقد رقصت معها مرتين ليلة البارحة . أليس هذا كاف ؟!

ولكنه لم يفض الى المركيز أنه ارتبك كثيرا فى شوط الرقص الثانى حين تبين بعض الشبه القليل بين هذه الزوجة وبين ذلك الوجه الصبوح الفاتن الذى كان يطالعه من بين افنان الكرز . ولكن التزين الكثير الذى كان شائعا فى ذلك العهد والشعر المستعار المتهدل حول الوجه كما هى « المودة » بين نساء الأشراف والنبيلات حالا بينه وبين وجهها الطبيعى وأخيرا قر رأيه على أن هناك فرقا عظيما بين الوجهين على الرغم من الشبه القليل

وطالما ندم فى غضون الأعوام الثلاثة المنصرمة على عدم تحريه عن شخصية هذه الفتاة الفاتنة التى قبلها يوما ما قبلة لن يستطيع أن ينسى حلاوتها مع أن مثل هذا التحرى لايليق بأحد من رجالات البلاط فما بالك بابن ملك

***

وجاء الفارس راكبا جواده وقد علت ثغره ابتسامة حلوة شيقة وقال يحدث جواده

ــ وهكذا نعود الى حبنا الأول أيها الجواد الكريم

وعجب الفارس حين ألفى الجواد يقف فى المكان المعهود من تلقاء نفسه بجانب سور الحديقة وتحت الافنان المتهدلة من شجرة الكرز

وربت فيليب مارى عنق الجواد وقال

ــ اذن أنت لم تنس أيها العزيز ؟ سأتخذ هذا فألا حسنا، انها هى الأخرى قد تذكرت موعدها

ورفع عينه الى عالم الأزهار الذى يعلو رأسه ولكنه لم يجد فى اطار الأوراق والأزهار ذلك الوجه الرائع الذى اعتاد أن يراه منذ أعوام ثلاثة وأرهف أذنه عسى أن يسمع حفيفا أو حركة فاذا به يجد السكون ضاربا أطنابه

واعتلى الأمير صهوة الجواد مرهفا غرب أذنه الى كل حركة وتضايق أخيرا فقال يحدث نفسه

ــ لقد كنت غبيا حين أتيت . وانى لأعجب لماذا يثق الرجل كل هذه الثقة العمياء فى النساء فى حين يستطيع أن يدور بعينيه فيما حوله ليرى مايجب أن تكون عليه الثقة ؟ وغدا . . . .

وأظلمت الدنيا في نظره وتغلب الألم على قلبه فقال

ــ ليس خطئى اننى ولدت ابن ملك والخير لى أن

أموت هنا حتى اذا وجدوا جثتي وسمعت هي بالنبأ علمت انني كنت أكثر منها وفاء . وسوف يجدون رسالتها ومنديلها الصغير معي . نعم سيكون هذا أحد السبل للفرار من هذه الحياة التي لا معنى لها ولا مذاق والتي ستبدأ منذ الغد .

يالله ! يظهر انني رجل موزع العواطف ، هأنذا واقف هنا في هذا المكان ولكني مطالب بالقيام بواجبات ثلاثة نحو نساء ثلاث في مدى أربع وعشرين ساعة . واجبي الأول نحو لويسي في قصرها المنيف . لويسي العشيقة القديمة التي طالما فتنت قلبي وسلبت لبي وواجبي الثاني نحو .. نحو زوجتي في ... في غرفتها الخاصة... يا الهي !. يا الهي ! .. وواجبي الثالث نحو رينيت. رينيت الفتية الفاتنة الساحرة الساذجة التي يظهر أنها أقل اخلاصا من رفيقتها نحو فيليب ماري . حسنا أيها الجواد الكريم . لقد تلقينا درسا كما يبدو لي . فهل ترى من المستحسن أن نزور هذا المعهد المقدس لنكون على يقين ...

وشد عنان الجواد وألقى بنظره الى الأمام ليرى طريق الباب

واذا به يراها وكان كالبرق الخاطف في ترجله عن الجواد وطار كالسهم المارق قاطعا المسافة التي بينها وبينه وقد برقت عيناه وشاع السرور في أنحاء وجهه . ونسي كل العالم حين استحوذ عليها بذراعيه وأطبقهما عليها مشددا في احتضانه اياها ثم أمسك بها من ذراعيها وأبعدها على طول ذراعه وراح يجيل فيها أنظارا مفتتنة لم يتغير منها شيء . فشعرها لا ينفك ذهبيا يحيط بوجهها الصغير الفاتن . وعيناها ! آه ما أكثر سحرهما وأعظم فتنتهما !!

ونسي العالم حين استحوذ عليها بذراعيه وأطبقهما عليها مشددا في احتضانه أياها

وقال الأمير

— حسبتك أيتها الحبيبة ستخلفين ظني وتدعينني أعود جارا أذيال الفشل

ــ لقد دأبت أعواما ثلاثة على التفكير فى هذا اليوم

فقال بلهفة

ــ وأنا ! لقد حسبت أنك تعمدت القضاء على قلبى حين أتيت فى المرة الأخيرة ووجدت خطابك وحده . فماذا كان قد حدث أيتها الحبيبة العزيزة ؟

فتخضب وجهها حين تذكرت الزواج الذى من أجله استدعاها والدها من هذا المعهد

ــ استعاد والدى ثروته مرة أخرى ولهذا كان بحاجة الى فى داره

فقال وهو مبهور النفس

ــ اذن أنت حرة طليقة

فقالت هى فى تؤدة

ــ المرأة ليست حرة طليقة بتاتا . . .

ثم رفعت اليه أنظارها فجأة وقالت

ــ وأنت ؟

وظن هو أنها تنظر اليه نظرة غريبة مفترسة فأغمض جفنيه ليتأهب لمواجهة ماهو قادم من الأمور ثم قال

ــ أنا . رينيت اننى متأهب أن أكسر كل قيد وكل غل فى هذا العالم من أجلك إذا أنت ...

وانتظرت هى الكلمة الأخيرة بفارغ الصبر ولكن الكذب الهين والخداع البسيط المعهودين فى البلاط لم يكونا من بين خلق فيليب مارى فاطرح جانبا هذا الاغراء وقد أدرك استحالته

ثم نظر اليها وقال

ــ يامنية الروح . لن أكذب عليك . اجلسى معى هنا فى هذا المكان وأنا أحدثك بأمرى .

وجلسا فوق العشب وساد بينهما الصمت .

وأدرك الأمير مهمته القاسية فظل ساكناً لحظة ثم اندفع فجأة فى الحديث وقد تدفقت الألفاظ من فمه فقال

ــ لست حراً فان ابن الملك لن يكون طليقا يارينيت في أحد أيام حياته . وغداً سأتزوج

وسمعها تتنفس تنفساً عميقا طويلا وتحركت حركة بسيطة ثم قالت فى تؤدة

ــ ومع هذا فانك قد أتيت إلى هنا ؟

فأدار الأمير عينيه فيما حوله وقد اصطدم قليلا بما تصوره من ظنها فيه في تلك اللحظة ثم قال

ــ نعم اننى أتيت هنا . لأننى أحبك . ان ملك فرنسا يستطيع أن يأمرنى أن أتزوج ولكنه لن يستطيع أن يأمرنى أن أحب . فالحب أيتها العزيزة شأن من شئونى الخاصة . أن رينيت الطفلة الفاتنة التى قبلتنى من بين أفنان شجرة الكريز هى كل ما أحبه فى هذا العالم وكل ما أريده منه فلو أنك تحبيننى قليلا لنبذت وربى كل ما أملك من ألقاب وأرضى . وأذهب بك الى فرجينيا أو إلى انجلترا . وانهم ليقولون ان السيد الفرنسى يستطيع أن يعيش بسلام فى انجلترا . فهل لك أن تأتى معى ؟

ـ ولكن ماذا يكون أمر هذه السيدة التى ستصبح زوجتك ؟

ـ لن تكون هناك زوجة ... بل أنت وحدك .

وانتظر

ولكنها هزت رأسها فى بطء وأسف فقال

ـ رينيت

ـ كلا ياسيدى الأمير

ـ هل هى ... كيف كان حديثها ؟

ـ لم أسمع منها غير كلمات ثلاث « اننى أشكر سموكم » نعم وقد يكون صوتها طبيعيا . والعادة أن نساء البلاط يكثرن من الكلام ويتحدثن كأبى زريق ولكن صوتها كان رقيقا وكان أشبه بالهمس ...

وخفت صوته حين وصل الى هذا الحد ولكنه حين استطرد القول ارتفع صوته

ـ أتريدين الحق يارينيت الا فاعلمى أن البلاط ليس فيه اخلاص وهو لا معنى له . هو قناع يخفى وراءه أشياء جمة . قولى لى قولا يارينيت أذكره إذا ما أكرهتنى الضرورة ـ ضرورة القيام بالواجب وضرورة المحافظة على الشرف ـ أن أتخلى عنك ، نعم حدثينى حديثا يذكرنى بك حين أفزع في الليالى الطوال وتسهد عينى فلا تغفو وتكونين أنت .. أنت الحبيبة نائية عنى بعيدة عن متناول يدى ومقع أنظارى .

وانبعثت حواء من مرقدها فجأة فتقمصت جسد

هذه الفتاة وقالت ، فى صوت رقيق أشبه بالهمس ، وقد برقت عيناها بريقا جذلا طروبا

ـ أننى أشكر سموكم

وما أشبه الليلة بالبارحة

فأدار اليها نظرا حائرا مضطربا وحملق فيها وهو مشدوه

وفجأة ارتفعت يدها الى عنقها فاذا به يرى في أحد أصابع تلك اليد خاتم فرنسا

ولكنه على الرغم منها ألقى بذراعيه حولها فطوقها ووضع خده على وجنتها وقال

ـ كلا يارينيت . انك لاتستطيعين الفرار منى بمثل هذه السهولة . فلو أنه ليس فى قلبى حب لك لما أتيت اليوم إلى هذا المكان ولكنك هنا وبين ذراعى وستبقين بينهما . وسوف أذهب إلى فيدام دى جسكلين وانبئها بالحقيقة . . . .

ـ فقاطعته رينيت قائلة

ـ هل رأيتها ؟

ـ لقد راقصتها الليلة الماضية مرتين . ولا ريب أنها تجيد الرقص اجادة تامة وانى لأعترف بذلك جهاراً ولقد سحرت برشاقتها لحظة . ولكن وجهها . . كلا انى لا أستطيع أن أقول في صدق انى رأيته . لقد كان القناع كثيفا إذ لم يكن من المستطاع أن تظهر ملامحها بعد كل هذا الدهان الثقيل الكثيف . ومن عجب أننى حين وضعت فى أصبعها الخاتم ـ خاتم فرنسا ـ لم يتحرك شىء في ملامحها .

بردليس النبيل

يعد المستر روفائيل سباتينى من كبار الكتاب الذين لهم ولع خاص بالوقائع التاريخية المشهورة ، وهو يلقب بدوماس هذا العصر لوجوه الشبه العديدة التى يراها القارئ بين القصص التى وضعها كلا الكاتبين والروح التى يلمسها فى مؤلفاتهما

ورواية « بردليس النبيل » التى ظهرت على اللوحة الفضية من القصص الشيقة التى وقعت حوادثها فى عهد لويس الثالث عشر فهى تتناول شطراً من تاريخ فرنسا فى ذلك العهد ، وضعه الكاتب فى قالب روائى تتجلى فى حوادثه روح الشهامة والنبل والتضحية ، غير مايتخللها من العظات البليغة والمواقف البديعة التى تثير فى النفس روح الاهتمام وتتملك المشاعر ، وقد نشرناها تباعا على صفحات الاهرام فنالت اعجاب القراء وتقديرهم وقد تم طبعها الآن فى جزء كبير من ورق جيد فى نحو ٢٥٠ صفحة وتطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد على ومن جميع المكاتب وثمنها ستة قروش والبريد غرشان

قبلة فى الظلام

وقفت كولامبين حين أطفئت الانوار فى أسفل الدرج ثم أوقدت الأنوار مرة أخرى بعد لحظة قصيرة وهى لا تزال واقفة مكانها ولكنها لم تكن كما كانت قبل اطفاء الانوار ولست أدرى ان كان قد استطاع أحد غيرى أن يرى هذا الاختلاف البادى على وجهها أم كنت وحدى الذى استطعت أن أرى هذا التخضب الفجائى الذى علا وجهها وهى تدور بعينيها فيما حولها .

وما انيرت الانوار حتى ذهب كل يتابع رقصه بيد أن كولامبين ماانفكت فى حيرتها واصطباغ وجهها .

ولم يكن اسمها الحقيقى كولامبين ولكنى هكذا أسميتها حين رأيتها لاول وهلة وكان ذلك حين كانت هى فى التاسعة من عمرها . وقد بلغت الآن التاسعة عشرة .

وكانت كولامبين فتاة مرحة طروبا تزخر فيها الحياة المتدفقة الوثابة فلا تستقر فى موضع ولا تهدأ فى مكان .

وأقبلت على كولامبين وقالت :

— هل من بأس إذا لم نرقص هذا الشوط ؟

— بأس ؟ لا أحب الى الآن أرقص . فانك تعلمين مبلغ كراهيتى لهذه الرقصات الحديثة السخيفة . دعينا نذهب الى المكتبة . ان بها دفئا جميلا وفضلا عن الدفء فانى لا أكتم القارىء أن أهل الدار يتركون عادة صندوقا من السيجار الجميل كلما أرادوا أرض الرقص فى دارهم ولم أذكر ذلك لرفيقتى لانها لن تستمتع بمثل هذه السجار الفخمة كما أستمتع بها

وقالت كولامبين

— دعنا فانك أدرى بالمكان وانك لتعلم أننى أوثر الجلوس معك والتحدث اليك عن الرقص معك

— بلا ريب فانى ثقيل الوطأة على قدميك حين أرقص معك ولا ريب انك تتألمين ولكنك تعلمين أنى لا أستطيع اجادة هذا النوع الجديد من الرقصات

— أوه . لست أعنى هذا ولكنى أحب أن أتحدث اليك لانك ... لانك مختلف

— مختلف عن ماذا ؟

— لست أدرى . وانى لا أعنى أنى أستطيع أن أنبئك بأنبائى وهناك أمر خاص أريد أن أتحدث اليك فيه ياعم جيمس .

— لا أريد أن تدعينى بعم جيمس فان هذا يجعلنى أحس أننى قد بلغت أرذل العمر .

— ولكنك كذلك ... أعنى أننى أدعوك كذلك منذ حداثتى . فكنت لى منذ الصغر كعم لى . أليس كذلك؟

فحككت يدى فى شعرى وأنا لست أدرى ماسيكون من وراء هذا الحديث

— أظن الامر كذلك . ولكنى « عم شرف » فلا تنس ذلك .

— سيان

— أكيد ؟

— طبعا سيان

فتنهدت وتناولت سيجارا فلما اشتعلت « وهففت منها نفسين » نظرت الى كولامبين فاذا بها تداعب منديلها وتحدق النظر فى الموقد وكانت نظرتها عجيبة لم أرها يوما من قبل اذ كانت نظرة حالمة فى حين لا أعهد فى كولامبين هذا الخيال المحلق وذلك « السرحان » وظلت صامتة طويلة ثم قالت أخيراً :

— عم جيمس

— نعم ؟

— انى متضايقة قليلا :

— مم ؟

— حدث شىء ...

ثم توقفت وراحت تداعب المنديل بين أصابعها ثم ثم اندفعت فجأة فى الحديث

— أريد أن أنبئك بالامر على علاته . فطالما أفضيت اليك بمتاعبي وآلامي . أليس كذلك ؟ كان الحادث حين أطفئت الانوار فجأة فقد قبلني واحد

— فهمت وأظن أنك سخطت كل السخط لذلك ؟

فهزت رأسها وقالت

— كلا . لم أسخط بلى ومن عجب انني لم أسخط بتاتاً ولكني في الواقع استسغت هذه القبلة . أن الأمر عجيب ياعم جيمس

— اذن فانك لاتعبئ بالأمر ؟

— كلا بل كنت مسرورة .

— اذاً ماذا يضايقك ؟

— ألا تفهم ؟ ! . لقد قبلني واحد ولكني لا أعرف من هو

— آه لقد فهمت

— وأريد ان أعرف من هو الذي قبلني . لأني . لأني .. لأني أريد أن أعرف على كل حال من كان .

— أليست عندك فكرة عمن يكون ؟

— نعم عندي فكرة . فكرة بسيطة . فانني أظن . . .

— نعم ؟

— أظن أن هناك فتيين لابد أن يكون هو أحدهما . أولهما « لين هولدنج » ....

— هولدنج الشاب ؟

وسرى الغضب في عروقي . وقد يكون هولدنج شاباً طيبا ولكنه على شاكلتي على الرغم من شاعريته العظيمة وكثرة المجلدات التي ألفها فقلت لها

— انني واثق أنه ليس هولدنج الشاب

— بل انني أظنه هو فانه شاب خيالي ولاتنس مافي هذا العمل من خيال وجرأة .

— هه ! !

— إذا لم يكن هولدنج فان الفتى الثاني الذي أحسبه يقدم على ذلك لغرامه بي هو « بل »

— بل ؟ ولكنه ليس هنا الليلة على ما أظن فهل رأيته ؟

— نعم أنه هنا ولكني أعرف أنك لن تتمكن من معرفته لأنه يرتدي لباس المهرج وقد أخفى وجهه تحت الطلاء الأبيض والأحمر فأصبح غريبا حتى عن نفسه .

— آه . ان بل على كل حال خير من الشخص الآخر

ولقد كان بل حقا كذلك ! فقد كان شابا قوي الجسم متين العضلات كريم النفس وكنت أحبه

— ومع ذلك فلا يمكن أن يكون هو بل أعني أن بل ليس شابا خياليا ليقدم على هذا العمل .

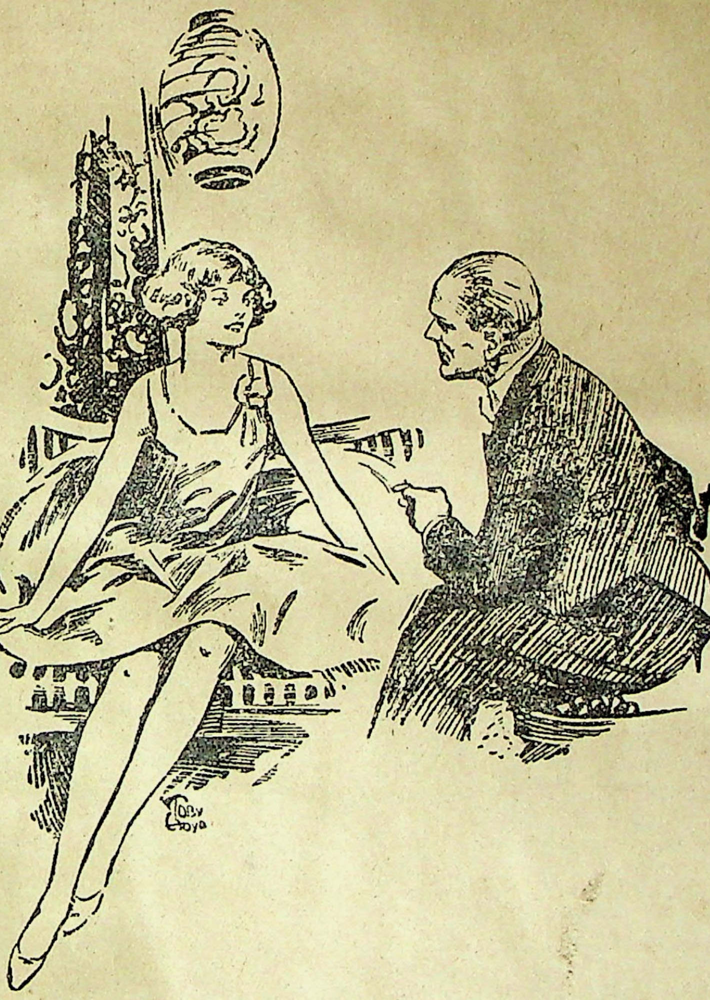

قالت كولامبين

... كان الحادث حين اطفئت الأنوار فجأة فقد قبلني واحـد

— كلا واشكري فضل ربك .

— اذن من يكون وليس هناك شخص آخر يمكن أن تحوم حوله الظنون

فتناولت « نفسا » طويلا من السجاير ثم قلت في بطء

— كولامبين هل تحبين أحد هذين الفتيين ؟

— لست أدرى . وأظننى كذلك .

— أيهما ؟

— لست أدرى ... أليس هذا عجيبا ياعم جيمس ؟

ولكنى فى الواقع لاأدرى أيهما أحب وأهوى . أن هولدنج يحدثنى أحاديث عجيبة تهتز لها أوتار قلبى فأصغى اليه كل الاصغاء وأحس أنى أحبه من كل قلبى . فاذا ما كنت مع بل .. و« بل» مختلف كل الاختلاف فهو لا يحدثنى تلك الأحاديث العجيبة وقدلا يقول شيئاولكنه على الرغم من ذلك حبيب إلى النفس . فهو هو بل دائما، وهو بل الذى يمكنك الاعتماد عليه والركون اليه . نعم لست أدرى ومن العسير أن أفرق بينهما وأحصر حبي فى أحدهما

وعلت الموسيقى وانبعثت ألحانها من الردهة فماطرقت مسمع كولامبين حتى غاضت تلك الحالة الجدية فجأة كلمح البرق ووثبت الفتاة على أقدامها وهى تقول

— لابأس ياعم جيمس سوف أسعى بنفسى للوقوف على هذا السر . وهاك الموسيقى تعزف ألحانها المطربة وأريد أن ألبى نداءها وأجول فى الردهة راقصة . وسوف أراقص كلا الفتيين لأعرف من منهما هو الذى قبلني

ثم ضحكت ملء شدقيها ووثبت كالغزال من الغرفة وقمت من مكانى لأقترب من الموقد وغصت فى مقعد وثير منخفض عالى الظهر .

وغفت عينى قليلا

واستيقظت على وقع اقدام داخلة إلى الغرفة ولم أكن لأستطيع أن أرى أحداً أو يرانى أحد إلا إذا قمت من مقعدى ولكنى أخلدت إلى السكون فلم أحرك ساكنا رغبة فى التمكن من الخروج دون أن يشعر بى انسان ولكنى سمعت صوت كولامبين تقول لمن معها

— ماأحلى القمر وما أبدعه !

فقال زميلها وقد تبينت من صوته أنه هو هولدنج الشاعر « العبقري »

— مركبة الليل الفضية تجر وراءها الكواكب التى لاعداد لها فى نثار وسط كبد السماء

وسمعت كولامبين تتنهد فأحسست انى لم أمقت انسانا كما أمقت الآن هذا الشاعر .

وعاد الشاعر يقول

— هذه السماء اللازوردية العميقة وفيها مشابه من لحاظك الزرقاء المخملية

— أتحسب أنهما كذلك حقا ؟

— نعم وأنهما لزرقاوان كالبركة فى منتصف الليل

وكان هذا هو نوع خيال هذا الشاعر «اللازوردى»

ولست أدرى هل اتيح لأحد أن يرى البركة زرقاء فى منتصف الليل أو فى أى وقت آخر ؟ مارأيت البركة يوما إلا بركة ماء عادى لازرقة فيه ولا حمرة بل أكبر الظن أنها سوداء من أثر الوحل والطين .

ولكن هكذا هولدنج يخلق من البرك ما يشاء ولو أنه تريث قليلا ولم يخرج من الغرفة مع كولامبين لصبغ العالم بأصباغ وألوان جمة عديدة وقد يختلط بعضها ببعض حتى لتبدو كل قطعه وهى ليست من الطبيعة فى شىء

وحاولت كولامبين وهى خارجة من الغرفة أن تغريه ليقبلها كي تعرف هل هو الذى قبلها أم غيره . وأحسست بالغضب منها فى تلك الساعة ولكنها فشلت ولم يتقدم هذا « البأف » لتقبيلها فى حين أنها لم تدخر وسعا لاغرائه . وله العذر ألا يحيا هو فى هذه الساعة فى البركة الزرقاء ويسير مع الكواكب فى كبد السماء ؟

وجاء بل يبحث عن كولامبين فسمع كلاهما صوته ثم طرق مسمعى صوت النافذة تفتح وصوت شىء يسقط . وكنت أعلم أن أسفل تلك النافذة التى فتحت قطعة أرض مزروعة بالازاهير وأن المطر فى تلك اللحظة كان ينهمر . فأحسست بالاغتباط أن كان بل رجلا يعرف كيف يقوم بالعمل المضبوط فى الوقت المضبوط . فلينعم الآن هولدنج الشاعر بالازاهير وسط الوحول

وقال بل

— وهكذا يجب أن يكون مصير الشعراء . أليسوا هم يحبون الطبيعة ؟ فليهنأ هولدنج الآن بالوحول والازاهير والأمطار تنهمر فوق رأسه

وظلت كولامبين صامتة

— مالك صامتة ؟ وعلام هذا الصمت ؟ لن يجرؤ بعد ذلك أن يطلب تقبيلك

— لم يكن الامر كذلك . ولم يخطىء فى شىء وانما أنا المخطئة فقد أغريته على تقبيلي .

— ماذا تقولين ؟

— شجعته على تقبيلي ولكنه لم يقبلني وانما جاءت لفظة القبلة عرضا فى حديثه

— يا الهى !

لماذا ؟

— لانى .. لا أستطيع انباءك . لانى كنت سخيفة

فتنهد بل من كبد حرى وقال :

— احمد الله أنى متمالك نفسى والا لصفعتك

— نعم يابل

— هذا ما كنت به جديرة

— نعم يابل. هل أنت . ساخط علي الى هذا الحد يابل ؟

— أنا . لا .. اتركي هذا فانى لا أملك السخط عليك

— آه يابل .

وساد الصمت بينهما طويلا ثم عادت كولامبين تقول

— بل انى سعيدة

— وكذلك أنا

— كل شىء ممتع . بل . انظر الى القمر يطل علينا أليس هو رائع الحسن ؟

— نعم ماأحلاه لكأني به قرص من الجبن

— ماهذا يابل ؟

وانطلقت منها ضحكة غريرة ثم قالت :

— ولكن هولدنج قال عنه ..

— لاتحدثيني عن هذا المعتوه

— لن أفعل . فانى لا أود الحديث عن أحد إلا ..

— إلا من ؟

— إلا أنت.

فاسترقت الخطى خارجا من الغرفة ..ن أن يراني أحدهما

.

وبعد نصف ساعة ثم أقبلت على كولامبين تقول

— عم جيمس. انى سعيدة جداً

— أحقا ؟ هذا حسن

— لقد أصبحت أنا وبل خطيبين. ألست مغتبطا بهذا النبأ ؟

— بلى . بلى . بالطبع أنا فرح مسرور فانه شاب ظريف

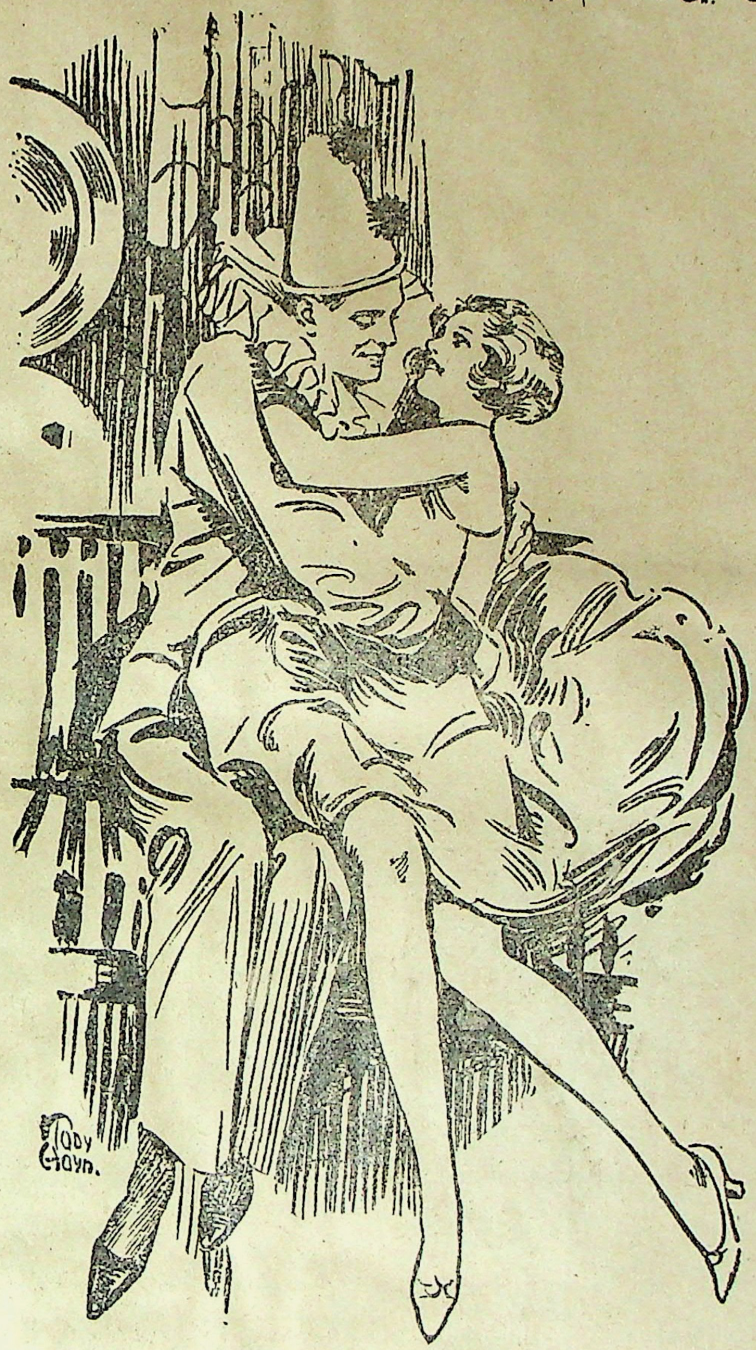

نعم يابل . هل انت .. هل انت ساخط على الى هذا الحد يابل؟!

— آه ياعمى العزيز لقد كنت واثقة من اغتباطك فانى أعلم أنك تحب بل . أليس كذلك ؟

— انه من خير الشبان وأفضلهم جميعا وستسعدين معه تماما

— أعرف ذلك . ولقد استطعت الآن أن أعلم من هو الذى كنت أحبه ، ولقد كان هو بل ولكننى كنت مرتبكة متحيرة لاأدرى أيهما الحبيب . وكذلك علمت أن بل هو الذى قبلنى فى الظلام

— أحقا هو ؟ أقال لك ذلك ؟

— لم أسأله . ولكننى علمت أنه هو ، لأنه قبلنى الآن ..

— أعرف ذلك

— تعرف ولكن ...

فتبسمت ثم قلت

— ان بل مرتد ثياب مهرج ، أليس كذلك ؟ وقد صبغ وجهه بأصباغ حمراء وبيضاء . ولكنه قد فقدالآن جانبا من هذه الأصباغ .

— آوه

وفزعت كولامبين وانتزعت منديلا جعلت تمسح به وجهها من الأصباغ التي انتقلت أثناء « عملية » التقبيل

ولكنها توقفت فجأة عن مسح وجهها بالمنديل وراحت تنظر إلى وجهها فى المرآة ثم قالت

— هذا عجيب !

— ماذا ؟

— هذه العلامة الحمراء ! توجد علامة حمراء واحدة فى وجهى ... اننى لا أستطيع .. . أعنى لو أنه كان قد قبلنى فى المرة الأولى فى الظلام ....

ثم تريثت قليلا وقال

— عجبا .

— نعم ان الأمر عجيب

ولكنى فى الواقع لم أر فى الأمر عجبا . فاننى أعرف من الذى قبلها .

وهل تحسب أيها القارىء أننى أستطيع أن أرى فى الظلمة المدلهمة من الذى قبلها ؟ كلا ولكننى أحسست بفمى يطبق على وجنتها فعلمت اننى أنا الذى قبل كولامبين فى الظلام

وكانت قبلتى هدية عرس تقدمت بها إلى كولامبين وعدت من الغنيمة بقبلة

مدهشات الطب الحديث

بعيادة الأستاذ الدكتور ابراهيم عزت بك الحائز للدكتوراه فى الطب العام وطب الاسنان من جامعات باريس وأمريكا وحائز لدبلوم أمراض البلاد الحارة وعضو الجمعية الطبية والصحية بباريس

ورئيس كلينيك مدرسة طب الأسنان بباريس وأستاذ الجراحة وعلم الامراض بمدرسة طب الاسنان بمصر سابقا

واختصاصى في معالجة الأمراض الباطنية والجلدية وأمراض النساء وأمراض الفم والاسنان والتقرح اللثوى الصديدى (البيوريه) بطريقته الحديثة التى لا يقف أمامها المرض أكثر من أسبوعين

يجرى عملية خلع وحشو الاسنان وعمل وتركيب الاسنان الصناعية بكافة أنواعها بدون مشابك أو سقف حلق وجميع ذلك بدون أدنى ألم

العيادة بشارع عماد الدين عمارة بحرى أمام نهاية المترو (تليفون ٣٨٠٦ مدينة)

فتاة تهرب من ذويها

فتلتقي بعد نصف سنة باخيها فى ظروف غريبة

قالت « لينا بيل » لصديقاتها الممثلات وقد جلسن حول موقدة يصطلين : أنا لا أفهم هذه الأقوال ، وعندى أن الصدق فى القول هو عماد الاخلاق ومِلا كها ، وان ليس لانسان ما أن يتهرب من عهد قطعه على نفسه

فقالت فيوليت : ولكن العهود خاضعة أبداً للظروف

فصاحت لينا : خاضعة لماذا ؟

فأجابت فيوليت : أقول للظروف الطوارىء

فقالت لينا فى استهزاء : وما مثل ذلك ؟

فنهضت فيوليت من مجلسها النائي واقتربت من الموقد وقالت : مثل ذلك قصة وقعت لى

فصاحت فتاة رشيقة : نريد أن نسمعها

فقالت فيوليت : على شريطة ان تمسكن عن الحديث حتى أتمها

قالت ذلك واعتدلت فى جلستها وأنشأت تقول :

كنت فيما مضى فتاة بلهاء أثق بالناس وأطمئن الى أقوالهم فحدث ذات يوم أن تعاقدت مع رجل اسمه « الجرنون رجلى » على الغناء والتمثيل فى مسرح له

وسررت بالصفقة وأيقنت أنى قد وضعت قدمى على أول درجات الشهرة والمجد ، ورأيت بعين الوهم اسمى ينشر على جدران مدينة لندن ويتألق بين أسفار من النور الكهربائى .

وكان معى بالمسرح عشر ممثلات صغيرات مثلى ، وكلهن يتطلعن الى الرقى وذيوع الصيت والثروة

وفى ذات صباح بارد جمعنا المدير وسافر بنا الى مدينة صغيرة تدعى « بودهام الصغيرة » ، وما مثلنا الرواية الاولى حتى عرفنا أن مديرنا من أكبر المحتالين الكذابين طلبنا اليه أن يدفع شيئا من أجورنا فأبى وقال : لست بدافع الا بعد انتهاء ليالى التمثيل ، فسقط فى أيدينا ولم ندر ماذا نصنع ، ونحن بعيدات عن منازلنا ، وما مع الواحدة منا الى دراهم معدودة ، ولما رأيناه كالصخرة الجامدة سكتنا على مضض وقلنا لننتظر ماتأتى به الايام

وكنا قد نزلنا فندقا صغيرا ، كل فتاتين فى سرير واحد . وكانت فيليس بوفرى شريكتى فى الفراش ، وهى فتاة لطيفة مسكينة

ويجب أن أذكر عنها شيئا قبل أن امضى فى قصتى فهى تدعى « روث بادويك » وما فيليس بوفرى الا اسم مستعار اتخذته لنفسها حين فرت من بيت ذويها لتعمل على المسارح

ولم تك روث بالفتاة الفقيرة الشقية . وما كان لها أن تترك بيت أهلها الاشراف المحترمين لتلقى بنفسها فى وسط لاينجو مقتحمه من متاعب وشقاء ، ولكن صوت المسرح ، وللمسارح أغراء ، ظل يناديها الى أن استجابت له وانطوت تحت لوائه المغرى مخلفة وراءها بيتها فى الريف الوادع وأهلها الكرماء

وكانت روث فتاة ذات ملاحة نادرة ، ولكن الجمال ليس معناه كل شيء فى عالم التمثيل ، وسرعان ماخاب ظنها وتلاشت أحلامها العذبة حين أدركت أنها لا تحسن الغناء ولا تجيد الرقص ، وهما شرطان أساسيان يجب أن يتوفرا فى ممثلة الريفيو والروايات القصيرة ، وهكذا لم تجد مكانا لائقاً فى الأجواق الناجحة ، ورآها « الجرنون رجلى » فضمها الى فتياته

وأخيراً تكرم المدير فجعل أجر الواحدة منا أربعة عشر شلناً فى الأسبوع ، وهو مبلغ حقير لا يعادل جهودنا ، ولا الأرباح التى يغنمها هو من سكان المدينة

وقال المدير ذات يوم اننا مسافرون الى مدشستر ففرحنا وقلنا قد يبتسم الدهر لنا هناك فيرفع المدير

أجورنا ويدفع مالنا فى ذمته من حساب متأخر ،

وحدد المدير لسفرنا يوم السبت فطلبنا اليه أن يعطينا شيئا من أجورنا لنستعد لسفرتنا ولنسدد ما علينا لأصحاب الحوانيت والفنادق، فقال سأعطيكن كل ما تردن فى يوم الجمعة

وجاء يوم الجمعة فقال سأدفع فى صباح السبت قبيل السفر وأشرقت شمس يوم السبت فمضينا إلى المدير فلم نجده فرحنا نلتمسه فى الأسواق والحوانيت والمتنزهات ولكن بلا جدوى كأن الأرض قد ابتلعته

فاشتد غمنا وجلسنا ومعنا الرجال الذين فى الفرقة نقلب وجوه الرأى ونلعن المجرم الأثيم الذى مكر بنا ، وأخيراً اعتزمنا الأوبة إلى مدينة لندن ،

ودفع الممثلون والممثلات ديونهم ومضوا الى المحطة أما أنا وصديقتى روث فلم نجد ما نسدد به ديوننا ، أو ما نعود به إلى العاصمة ،

وقالت صاحبة الفندق حين سمعت نحيبى :

يالها من حيلة لطيفة !! تنزلين فندقى آكلة شاربة أنت وصديقتك ثم تقولين انكما مفلستان ؟ ، لا والله ان مثلى لا تخدعها تلك الأباطيل ، اكتبا إلى أهلكما فى طلب نقود وسددا ما عليكما أدعكما تخرجان من عندى بحقائبكما ولست بمطعمتكما بعد اليوم وحسبى أن أسمح لكما بالمبيت عندى

وكنت فتاة معدمة يتيمة فقلت لروث : اكتبى الى ذويك فى طلب شىء من المال ، فأجابت : كلا ، لا أفعل بعد ان غادرت أهلى دون أن أودعهم بكلمة أو برسالة قصيرة

وخرجنا نتجول فى شوارع مدشستر كالمتشردين ،

وبعد ساعة نظرت الى روث وقالت : فيوليت !

فعبست وقلت : ماذا ؟

قالت : لقد قطع السغب أحشائى

فقلت : ثم ماذا ؟

أجابت : أريد طعاما للغداء

فحملقت فى وجهها وقلت : الغداء ! ألا فأبشرى بسغب مستمر !

وما نطقت بجملتى هذه حتى رأيت أمامى فتى مديد القامة ينم وجهه عن خير ورحمة ، يحدالينا البصر فنظرت اليه نظرة ساحرة ثم عدلت بصاحبتى إلى طرف الطريق

وهمست فى أذنها قائلة : أتريدين طعاما وشكولاتة وزهراً ؟

فنظرت الى فى حزن وقالت : كفى !

قلت : ان بمكنة هذا الشاب الكريم أن يرحمنا من ألم الجوع

فمدت بصرها نحوه

وما رآنا ننظر اليه حتى اصطبغ بحمرة الخجل كأنه تلميذ صغير

ولزم مكانه

فدرنا دورة ومررنا به فنظر الينا فى اعجاب فرجعت اليه وقلت دون تحية :

أين بناء البريد ياسيدى ، عفواً ، أنا لست من أهل المدينة ؟

فأجاب فى احتشام : انه هذا البناء الذى على يسارك

فاهتززت من الخجل إلا أننى قلت : كنت أفكر فى تناول طعام الغداء فهلا دللتنى على مطعم قريب

وعندذلك اقتربت روث منا وقالت : نعم أين نجد المطعم ؟

فقال الفتى : ان تكرمتما أخذتكما الى مطعم «ميدى» وانى سائر اليه لتناول طعامى ، ويسرنى جداً أن تأكلا على مائدتى فانا ابن المدينة وأنتما غريبتان

فقلت : شكراً لك ، سنكون ضيفتيك

فانتشرت أمارات الرضا على وجهه وقال : هيا بنا

وسرنا فى صمت

وبعد خمس دقائق كنا فى مطعم أنيق حول مائدة نظيفة وأمامنا الجرسون يتلقى أوامرنا

وقال مضيفنا ونحن على الطعام أنا دوجلاس سونتون من موظفى هذه المدينة

فقلت : وأنا فيوليت دى فير ، وهذه صديقتى فيليس دى بوفرى ،

فسأل : ومن طالبات الجامعات ؟

فأجبت : كلا ، بل من الممثلات

وعرفت بعد دقائق أن الفتى قد وقع فى هوى صاحبتى فكانت اذا رنت اليه خفض بصره وتعذر عليه الكلام ،

وقال بعد الغداء : سأرجع إلى عملى وان شئتما تقابلنا فى المساء ، وسيكون معى أحد أصدقائى

قلت : وأين نتقابل ؟

فأجاب : أمام هذا المطعم فى الساعة السابعة

وعدت مع صديقتي إلى الفندق ، وبعد ان ارتدينا أحسن ثيابنا ووقفنا ساعة أمام التواليت خرجنا الى أحد المتنزهات حتى يقبل الموعد المضروب

وفى الساعة السابعة تماما أقبلنا على المطعم فرأينا الشابين يجلسان أمام شرفة زجاجية

فوجهت بصرى للتو إلى رفيق دوجلاس فرأيته شابا لطيفا يضع على عينيه نظارة ، ولكنه أقل ملاحة من صديق صاحبتى

وقبل أن أتقدم صوب المطعم قبضت روث على ذراعى وصاحت : آه ! هذا شقيق هوبرت !

فصحت : شقيقك ؟

أجابت : نعم ، الشاب الجالس بجانب دوجلاس

قلت : لعلك واهمة ياصديقتى

فصاحت : كلا هو بعينه ، فما العمل ؟

وكان الفتيان مشغولان عنا بحديثهما

وبكت روث فى صمت وقالت : لاأحب أن يرانى أخى هنا

فقلت : وليس من العدل أن ندعهما ينتظران سحابة ليلتهما ، ارجعى أنت وسأدخل أنا وأقول ان صديقتى أصيبت ببرد فنصح لها الطبيب بملازمة الفراش

قالت : رأى حسن ، ولكن على شريطة أن تكتمى اسمى ...

فأجابت : سأفعل

فصاحت : أقسمى بشرفك

فأقسمت

ودخلت الى المطعم

فقدمنى دوجلاس الى الشاب

وما ذكرت نبأ مرض صاحبتى حتى وجم دوجلاس واكفهر وجهه ، فقلت على الفور : ولكنها ستخرج الى الرياضة فى صباح الغد !

وبعد أن شربت قدحا من القهوة نظر الى هوبرت بادويك (شقيق صاحبتى) وسأل : أتحبين دور السيما

أجبت : كلا . ما دخلتها الا خرجت بصداع قاس

فقال دوجلاس : والرقص ؟

فدورنا دورة ومررنا به فنظر الينا

قلت : أرقص

وبعد أن رقصنا ساعة عدنا الى المطعم وأمرا فقدمت الينا أشهى ألوان الطعام والشراب ، واتفق أن فتحت حقيبتى لأخرج منديلا فأطل فيها هوبرت

وقال :

— ما هذه الصورة الفوتوغرافية التى معك ؟

فأخرجتها وأنا أقول : صور صديقاتى وزميلاتى وجعلت أنشرها بين أيديهماوأقول . هذه صورتنا ونحن فى الحمامات ، وهذه أخذت فى احدى الحدائق ، وهكذا

وفجأة صاح هوبرت وقال وهو يلوح أمام عينى باحدى الصور : ماهذا ، أرى صورة أختى !!

فقال : دوجلاس أختك !!

قال ذلك وتناول الصورة ونظر فيها مليا وقال :

وأنا جالسة أنظر فى حيرة وخوف

—أين يذهب بك ، هذه صورة صديقتى فيليس ! شفاك الله يافيليس

فاختطف هوبرت الصورة وقال : بل صورة أختى روث

فقال دوجلاس : بل فيليس الحسناء التى تعرفت اليها اليوم

فصاح هوبرت : بل أختى روث !

واحتدم بينهما الحوار

وأنا جالسة أنظر فى حيرة وخوف :

وبغتة اقترب منى هوبرت وقال : أنت تعرفين ولا ريب أن شقيقتي روث هربت منذ نصف سنة ؟

فأحنيت رأسى

فقال : أريد أن أفهم لماذا اختارت التمثيل على ما فيه من شقاء وكد؟

قلت : زين لها الشيطان ذلك . وانها لنادمة على غلطتها ولولا الخوف منكم لعادت تائبة الى بيتها

فصاح : تخاف منا !

قلت : نعم ، أتظن أن لاخوف عليها ان هى عادت ؟

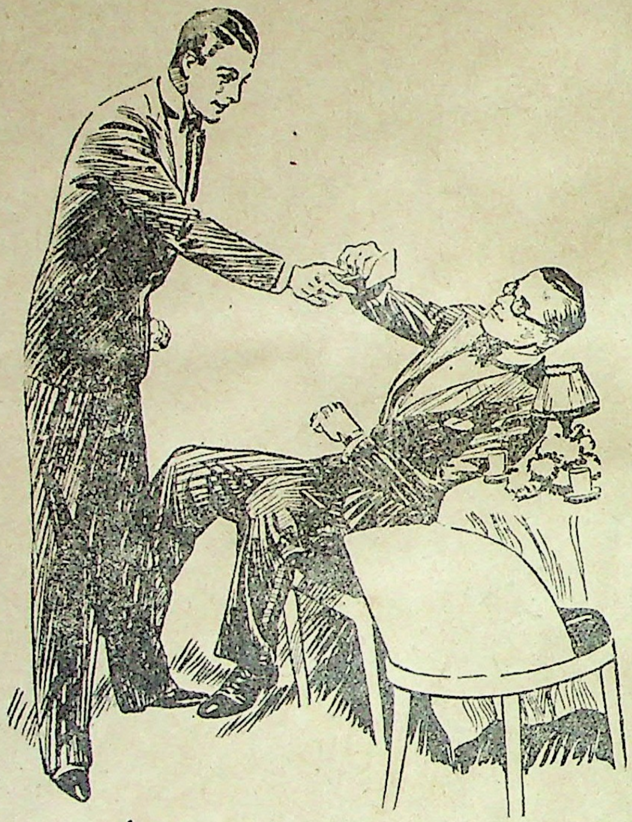

فاختطف هوبرت الصورة وقال : بل صورة أختى

قال : ان والدى يكره المسارح وكذا أمى ، ولكني سأنظر فى الامر مليا ، سأعود غدا الى البيت ، ونحن نقيم بقصر جرينفيلدز على بعد ثلاثين ميلا من هنا ، وسأكلم أمي فى شأن الهاربة الصغيرة ، وما اسم الجوق الذى تعملان به ؟

فأجبت : «تدلونكس»

فصاح : تدلونكس ، لقد انتهت حفلاته منذ يوم الجمعة ، وسافر أعضاؤه فى يوم السبت .

قلت : نعم

قال : ولماذا لم تسافرا مع أفراد الفرقة ؟

فأنحيت رأسي ولم أجب

وأمر هوبرت بتاكسي وركب ثلاثتنا ، وقال دوجلاس أين تنزلان ؟

قلت : فى فندق صغير تديره سيدة فاضلة

قال : أعرفه . وأمر السائق بالمسير اليه

وأمام باب الفندق وقفت السيارة فنزلت بعد أن أن شكرتهما شكرا جذيلا

وما صعدت الى الحجرة حتى نظرت الى الشارع فرأيتهما يتكلمان ويتشاوران ثم ركبا السيارة

وناديت فيليس فلم تجب فعرفت أنها نائمة فدخلت الى الفراش فى سكون لئلا تستيقظ

وفى الصباح نظرت الى فيليس فى حيرة فقلت اطمئنى

وكنت قد أخفيت شيئا من طعام ليلة أمس فى ثيابى فوضعته بينى وبين فيليس وأكلنا ونحن نضحك

وأقبل الظهر يذكرنا بطعامه

وفى الساعة الثالثة سمعنا سيارة تقف أمام الباب فقمنا إلى الشرفة وما أرسلت فيليس بصرها حتى صاحت : ضعت ! أبى وأمى يصعدان

ونظرت إلى فى غضب

قلت : نعم ، ان الظروف السيئة هى التى جعلتنى أذكرك أمام أخيك

ودخلت سيدة مهوبة الطلعة وخلفها عجوز فى ثياب فاخرة

وكانت فيليس قد اختفت وراء ستر

وقالت صاحبة الفندق وهى مشرقة الوجه

— هذه صديقتها

فنظرت الى الشيخين فى احترام وقلت : أنا فيوليت دى فير

فقالت السيدة : اذن أنت الفتاة التى خدعت ابنتى وزينت لها حياة المسارح !

فقلت : كلا ياسيدتى ماخدعتها قط أو زينت لها أن تهجر البيت الذى نشأت تحت سقفه

فصاحت : أنت أكبر منها سنا ، فلماذا لم تبذلى لها النصيحة

فأجبت : بود كريمتكما أن تعود اليكما ولكنها خشيت غضبكما

وسأل الوالد : وأين هى ؟

قلت : لن أدلكما على مكانها الا بعد أن تغفرا لها

فصرخ الشيخ يقول : أتملين علينا أوامرك

قلت : بل أستعطف وأتوسل

قالت الأم : عفونا وغفرنا

فصحت : روث ! تعالى ، فلاخوف عليك الآن

فخرجت المسكينة من وراء الستر تمشى على استحياء ، فأشارت اليها أمها فأسرعت اليها ورمت بنفسها بين أحضانها وهى تبكى

فبكينا جميعاً لبكائها

وبعد ساعة ركبنا السيارة إلى قصر جرينفيلدز وهناك وجدنا دوجلاس وهوبرت

ولم يمض شهر حتى تزوج دوجلاس من روث وهوبرت منى

هذه قصتى وقد رأيتن ولا ريب أن للظروف عوامل قاسية تحمل المرء على النكث بعهده

زوج شقيقتي

تقدم حبيبها لشقيقتها ولكن الحب يتغلب عليها

اعتراف فتاة حاولت ان تتغلب على الحب في سبيل شقيقتها ولكنه تغلب عليها

عديني ياروث أن تقدمي شقيقتك بال عليك دائماً في كل شيء !

— أعدك ياأماه !

وعود تلقى أمام فراش الموت لتجلب العذاب والخطيئة للاحياء بعد أن يذهب الاموات

ماتت والدتي سعيدة اذ وعدتها بعد أن جعلتني مقيدة الى شقيقتي الصغيرة بال التي أكبرها بأربع سنوات وكان سنها اذ ذاك يبلغ العاشرة

وهكذا قبلت الامانة وشبت تحت عيني ورعايتي حتى ترعرعت وصارت فتاة جميلة . وما بلغت الثامنة عشرة حتى هام بها ريتشارد مارتن وكان عاملا ميسور الحال وسررت أنا اذ أمنت على مستقبلها وعلمت أن قبولها لذلك الشاب ان هو الا تمهيد لطريق سعادتي أنا

اذ كنت أنا أيضاً أحب أرثردان طالب الطب وكنا قد تواعدنا على الزواج بعد أن ينتهي من دراسته ،عقب ثلاث سنوات

كنت قد نصحت لبال ألا تهجر حياتها ،حياة الفتاة ، بسرعة . ولذا فانها كثيراً ما كانت تعتذر لصديقها ريتشارد وتصحبني ، أنا وأرثر صديقي في نزهاتنا الطويلة في الغابات في أوقات فراغه وخلوه من العمل

وحين بلغت بال التاسعة عشرة من سنها أعلنت فجأة ، ما دهشنا جميعاً ، وهو عزمها على دخول الدير والانتظام في سلك الراهبات . وعلى الرغم من محاولتنا اقناعها بالعدول عن ذلك . وانضمام ريتشارد صديقها الينا في هذه المحاولة . فانها ظلت على عنادها ولم نتمكن من أن نحولها عن رأيها .

كان ارثر إذ ذاك قد انتهى من دراسته وبدأ يمارس مهنة الطب . فرجتني بال أن أعقد عقد قراني به قبل أن تغادر هي العالم لتدخل الدير .

وبينما كانت الاستعدادات تقام لحفلة زواجي كانت بال تزيد كآبة وحزناً . واتسعت عيناها تألماً حين رأت ملابس عرسي ثم تأوهت ووضعت يداها فوق عينيها . ولكن لشدة سعادتي في ذلك الوقت ، لم ألحظ شيئاً من هذا ولم أفكر فيه .

وكانت الليلة السابقة لحفلة الزواج وقد جلست إلى المعزف أوقع عليه النغمات التي أميل اليها ، حيث كنت تعلمت الموسيقى . وكانت ملابسي الخاصة بالزواج تنتظر في الغرفة العليا . وما كان عقلي يفكر إذ ذاك في غير المستقبل وأنا أحلم بأن أكون الزوجة المحبوبة التي تمتع بالرجل الذي تحب وظهرت لي الأعوام المتعاقبة وكلها وردية اللون . امتلأت عيناي بالدموع حين فكرت في سعادتي المقبلة وقارنتها بتلك الحياة الهادئة الجامدة التي تخيرتها شقيقتي بال لمستقبلها .

وفجأة سمعت صوت حركة في الدور الأعلى من المنزل وجريت بكل سرعة لأرى ما حدث

آه ! لن أنسى ذلك المنظر الذي وقع عليه نظري ! فقد وجدت شقيقتي بال ملقاة على الأرض وقد ارتدت

ملابس العرس التي كانت معدة لي أنا وأمسكت بصورة ارثر خطيبي وحبيبي ووضعتهـا عند قلبها ، وقد أصابها اغماء أشبه بالموت .

إذ ذاك عرفت الحقيقـة بأ كملهـا ووضح لي كل

ريتشارد بالزواج منها وعزمها على الانتظام في سلك الراهبات ودخول الدير ، آه كم كنت عمياء جاهلة بالحقيقة !!

وقادتني قوة خفيه ، إذ أني كنت في شدة الالم اذ ذاك ، الى الخروج من الغرفة خشية أن تثوب الى رشدها

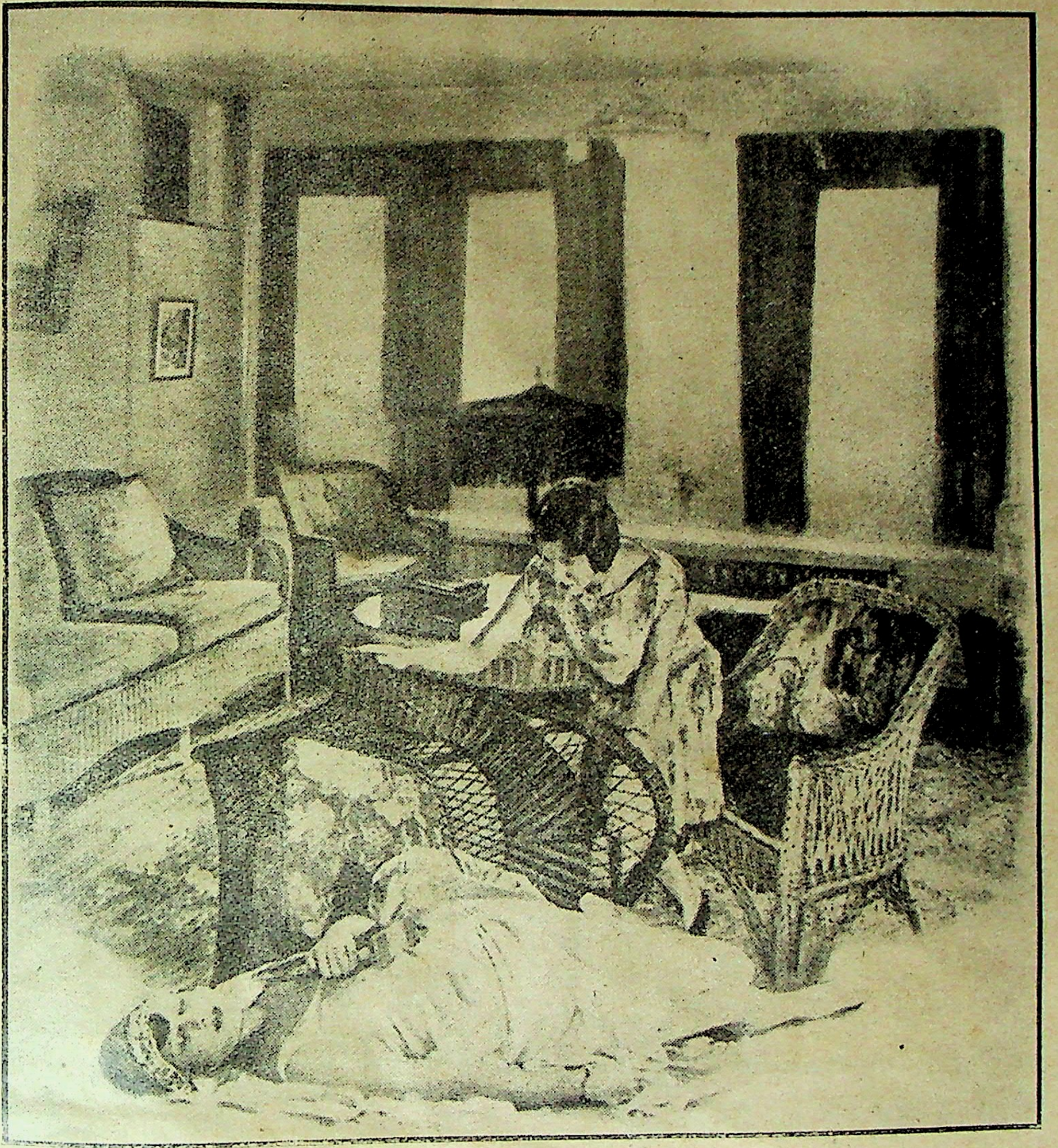

وجدت شقيقتي بال ملقاة على الأرض وقد ارتدت ملابس عرسي و مكست بصورة خطيبي أرثر ووضعتها عند قلبها وهي مصابة بالاغماء

ما كنت أجهله

إذ أنه قد كانت بال تحب ارثر وهذا يعلل رفضها لطلب

وتستيقظ فتعرف أن سرها قد اكتشف

كم قاست في مدة الساعتين ! وخيل الى أن يد

والدتى الميتة تمتد الى وهى تقول :
« اذكرى وعدك ، وقدمى بال على نفسك ! »
وحين حضر أرثر خطيبى كنت قد وضعت خطتى النهائية فأخذ يقبلنى ويمر بيده على شعرى وهو يخاطبنى برقة ورآنى أبكى فقال :
— ماهذه الدموع ياحبيبتى . . دعينى أمسحها بفمى
وأخذ يضحك وهو يذكرنى بالمستقبل السعيد ولكننى مالبثت أن فاجأته فأخبرته بثبات بما اكتشفته فأخذ يصغى بعطف ، وأخبرته أنه يجب أن يتزوج شقيقتى بال ويعمل على اسعادها واشمأز ارثر من هذه الفكرة فأخذت أصور له مستقبل بال المظلم ، وضعفها ، وذكرته بأمر والدتى لى وهى على فراش الموت ووعدى اياها . . ولكن لم يجد ذلك نفعا ، ورفض أن يجيب طلبى أن يتزوج شقيقتى بال . ولما يئست من اقناعه هددته بأنى سأرفض الاستمرار فى حفلة الزواج . وخيل الى فى تلك اللحظة أن كل سعادتى تنحصر فى أن أرى بال سعيدة ولذا فقد صحت به انه لايحبنى وإلا لأجاب طلبى ، وان السعادة الحقة هى فى التضحية بالنفس ، واستعملت كل حجة لاقناعه . ولو اننا فكرنا قليلا لتبينت لنا خطورة ما نقوم به

وافق أرثر فى النهاية بعد اعياء شديد . فاستدعينا بال الى الغرفة وحضرت كالطائر المرتعب وكان الشحوب ظاهراً على وجهها وحاولت أن تبتسم وهى تقبلنى وتعبث بأن تضع يدى فى يد ارثر ولكنى سحبتها وأمسكت يدها وأنا أحاول أن اخفى شدة ألمى وأخبرتها اننى لن أتزوج من أرثر لرغبتى فى التفرغ لدراسة الموسيقى . ظهرت عليها الدهشة ولكننى قبلتها وغادرت الغرفة بسرعة تاركة حبيبى وشقيقتى الصغيرة وحدهما . آه ! ان الموت كان أهون من ذلك . . .

وعقدت حفلة الزواج فى ميعادها وحلت فيها بال محلى وودعتهما بنفسى وأنا أرجو لهما أسعد المستقبل

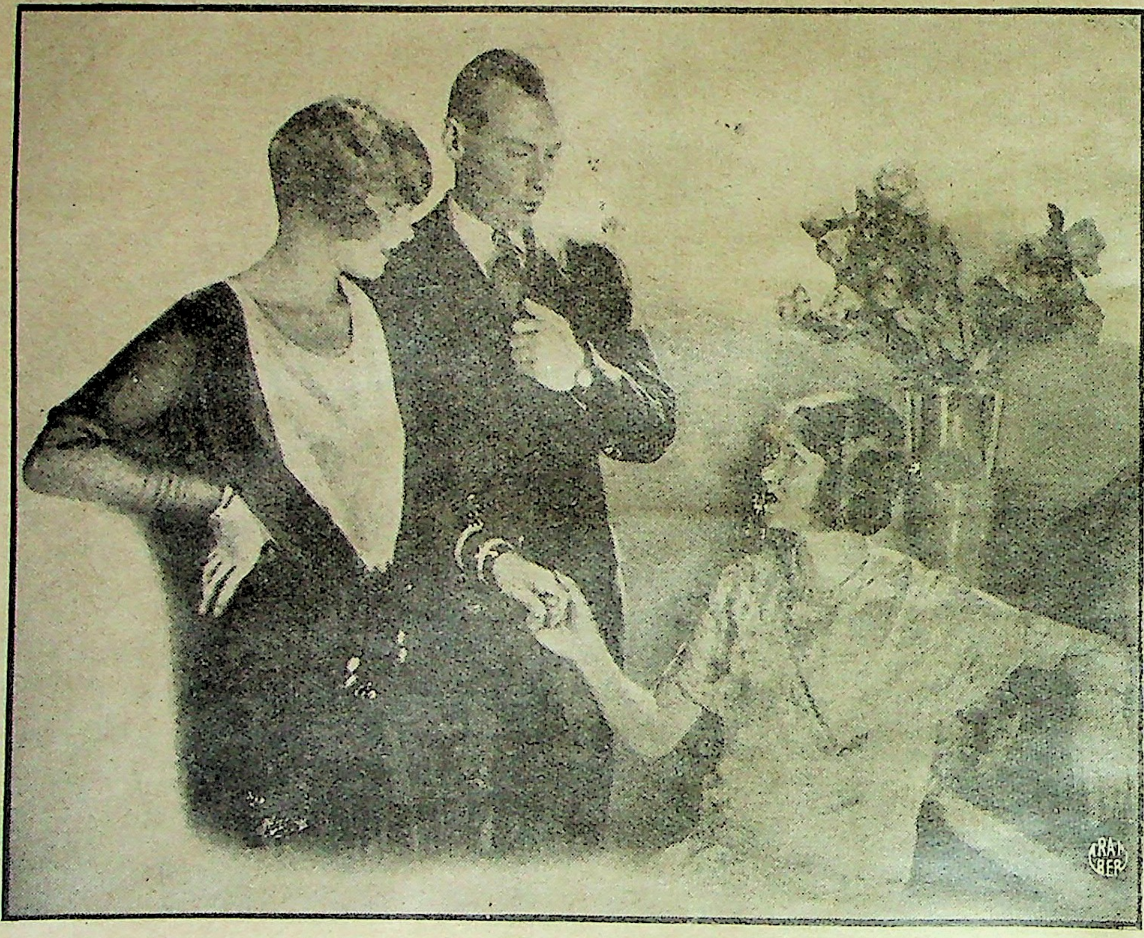

وأمسكت بيدها وأنا أحاول أن أخفى شدة حزنى وأخبرتها أنى لن أتزوج من أرثر

وحين عادا من شهر العسل واجهت أنا وأرثر عواقب هذا الزواج إذ أن حبنا كان قد زاد وطغى لما اعترضه ومرت ستة أشهر، وكانت الحياة لا تكاد تطاق بالنسبة لكلينا على الرغم من أننا لم نكن نتخاطب بكلمة واحدة . وكنت أدرس الموسيقى وأنا شاردة العقل . أما بال فكانت تظهر عليها السعادة العظيمة .

إلا أننا لم نتمكن من الاستمرار على الادعاء والتظاهر . ففى ذات ليلة اسرع أرثر الى غرفتى وهو يدعونى بسرعة الى غرفتهما هو وبال لأن شقيقتى قد أصيبت بعسر هضم قد سبب لها ألما حادا في أمعائها.

استيقظت مرتعبة وارتديت ملابسى بسرعة . وفي لحظة واحدة شعرت انى بين ذراعيه وشفتيه على شفتى . ثم تخلصت منه فجأة فى حين هرب هو من الغرفة .

لا أعرف كيف تمكنت من خدمة بال والسهر عليها بثبات وبرود . وحدث بعد ذلك ان دعى أرثر لمرافقة بعثة طبية ذاهبة الى بلاد الصين فلبى الطلب وكأنه آثر الرحيل الى جهة نائية من العالم ليتخلص من كل شيء وحاولت ألا أنفرد به الا أنه قبل سفر القطار الذى كان سيقله الى الباخرة أخذنى بين ذراعيه وقبلنى فكأنه أشعل النار فى قلبى . وخلصت نفسى منه بصرخة عالية ثم هربت . رحل ارثر !!

وبعد أسبوع حدث أن خرجت من المنزل كى اشترى بضعة أشياء، ولما عدت وجدت شقيقتى بال وقد سقطت من أعلى السلم وكأنها قد هشمت أعضاءها . وكانت قد زلقت قدمها فسقطت وأسرعت باستدعاء الطبيب . ولما انتشر خبر تلك الحادثة حضر ريتشار مارتن فى نفس المساء ، وهو الشاب الذى كان يحب بال في الماضى. وقد شحب وجهه وظهر الاضطراب عليه وأخذ يستفسر عن حالها باهتمام . ولما طمأنته عنها طلب أن يراها لأنه كان قد عزم على السفر في اليوم التالى الى الغرب ولكن أوامر الطبيب كانت صارمة لا تسمح لأحد برؤيتها .

كانت هذه آخر مرة رأيته فيها إذ أعلنت الصحف فى اليوم التالى خبر وفاته من جراء اصطدام سيارته التى كان مسرعا بها ليلحق القطار . يا للمسكين ! لاريب أنه قد لقى الراحة بموته أفلم يكن يقاسى مثلى من جراء عدم تحقق آماله وقد كنت تبينت فى الشهور التى مرت بى أن الحياة قد تحتاج فى بعض الأحيان الى شجاعة أكثر من الشجاعة التى يستلزمها لقاء الموت .

كانت جروح شقيقتى بال مؤلمة أكثر مما كانت خطيرة إلا أن وفاة ريتشار أثرت عليها تأثيراً عجيبا فقد كانت تبكى وتنتحب أثناء نومها وتناديه باسمه مع أنى كنت أعرف أن روحها وقلبها كان ملكا لزوجها ولازمت الفراش أكثر من أسبوعين وفي ذات يوم انحنى الطبيب الى أذنها وأسر اليها بضع كلمات وهو يبتسم ان بال ستصبح أما !! وكم سررت أنا لهذا الخبر ، آه .. كم سأحب ذلك الولد الذى ستلد وأنا أعرف أنه ابن ارثر !

وكتبت أنا لارثر أبشره بهذه الأخبار السارة بينما كانت بال تبتسم بحزن وهى بين وسائدها .

وولد الطفل ودعوناه روجر وأرسلت لوالده فأقلع الينا فى الحال ووصل بعد أربعة أسابيع . ولما كانت بال لا تزال مريضة فقد ازدادت صلاتى بأرثر توثقا وكثر انفراد أحدنا بالآخر

وكان من أثر هذا الاتصال أن اشتعلت نيران الحب القديم في قلبينا حتى انى طلبت من ارثر أن يرحل عنا وإلا خضعنا فى مدة أسبوع لاغراء الحب

ولكنه ضحك وأمسك بذراعى وضغط عليه وعرض على أن أقلع إلى أوربا فى الصيف التالى بحجة دراسة الموسيقى . ويلحق بى هو إلى هناك بعد أن يطلب اجازة من وظيفته في الصين . وذكر لى أنه لا يطلب غير أن يرانى ويكون على مقربة منى بضعة شهور دون أن تكون زوجته إلى جانبنا . وتستمر هى على اعتقادها أنه فى الصين وسيترك خطابات مع خادمه الشرقى فى الصين ترسل اليها كل أسبوع .

ولكننى لم أصغ الى هذا المشروع الذى بعث بالرعب الى قلبى وأجبته أنه من المستحيل أن أقبل ذلك فاشتد غضبه اذ ذاك وأخذ يلومنى لأننى قذفت به الى زوجة لا يحبها وهو يقول أنه قد خدع وانني قد حطمت حياته . وأخذ يذمنى لأننى لا أثق به ويستشهد بالسماء على أن أغراضه كانت نقية طاهرة وانه لا يريد منى غير رفيقة له في رحلته لأوربا . وأخذ يرجو ويستعطف . وكنت أحبه كثيراً ! وكان قلبى متعطشا له ولرؤياه وبعد جهاد طويل شاق وافقت في النهاية على مشروعه وسافر هو الى مقر وظيفته بالصين .

وأخذ يرسل الينا الخطابات بانتظام ، وكان يرسل فى كل ظرف معين خطابين أحدهما لزوجته بال والآخر الى فكنت أخفيه وكان يتحدث كثيراً فى هذا الأخير

عن مقابلتنا المنتظرة دون أن يذكر فيه كلمة حب وعطف وسرني هذا لأنه كان ينبيء عن رغبته في الاستمرار على صدقه واخلاصه . وكنت أفضل الموت على أن أخون شقيقتي بال . ولما أخبرتها بعزمي على السفر لأوربا للتفرغ لدراسة الموسيقى شجعتني وسرت بفكرتي . وحانت ساعة سفري أخيراً .

باريز ! . . وارثر . . . والحب ! . . .

***

ثمانية أسابيع انتزعناها من فردوس النعيم . . وبعد ذلك كان يجب أن أكفر عن ذنبي كما كفرت ملايين النساء غيري على طول القرون ! لقد انتصرت الطبيعة .

وجدني ارثر حزينة كئيبة . . وأخبرته سري في ذات مساء فوضع يديه على عينيه وبكى . كنت أعرف أن أفكاره كانت موجهة الى لا الى نفسه واذ ذاك عاودتني القوة وهدأت أعصابي وأخذت أفكر في الخلاص من هذه الورطة

كان يجب أن يسافر ارثر الى الصين وكان يجب أن أبقى أنا بفرنسا الى أن ألد طفلي وأدرس الموسيقى . ابني من ارثر ! ! لم يكن غريبا أن شعرت بسعادة عظيمة على الرغم من شقائي . ودخلت ديراً لألد فيه حيث اعتنت بي احدى الراهبات واسمها سيفيل وأخذ ارثر يراسلني من الصين بانتظام وكذلك أخذت شقيقتي بال تكتب الى تعبر لي في كل خطاب عن حبها وعن سرورها لتقدمي في دراسة الموسيقى . يالسخرية الأقدار !!

وفي اليوم التالي لليوم الذي ولدت فيه أحضرت الى الراهبة المولود الصغير وكانت طفلة جميلة دعوتها باسم الراهبة . وبعد شهر من هذا التاريخ أرسلت لارثر ولشقيقتي بال أخبرهما باني قد أقلعت أقصد أرض الوطن (امريكا) . وكنت قد تركت ابنتي سيفيل بالدير بعد أن تركت لها كفايتها من المال للملبس والطعام والعناية .

وحين عدت الى الوطن تحول حبي العظيم الى روجر ابن بال وأخذت أعنى به وأرعاه بكل انتباهي حتى أخذت بال تستغرب ذلك وتستغرب على العظيم بطبائع الأطفال يالمسكينة ! كثر ما كنت أشفق عليها وعلى جهلها

مر عام وحان الوقت الذي سيرجع فيه أرثر الى الوطن وخشيت أن تخونني قواي حين رؤيته فسافرت الى مدينة قريبة بدعوى زيارة احدى صديقاتي . وأرسلت اليه أشرح السبب الذي دعاني لعدم مقابلته . وعدت الى المنزل بعد عودته الى الوطن بأسبوع

ثم شعرت بعد ذلك بشوق عظيم لرؤية ابنتي وكنت أبكي طول الليل حزنا على فراقها وصممت على السفر الى أوربا لرؤيتها مهما كلفني ذلك . ولم تستغرب بال عزمي على السفر إذ كان لي من المال مايكفي لأن أعيش عيشة راضية سعيدة وكذلك لم يكن هناك مايقيدني بالمنزل . .

وسرت الراهبة سيفيل سروراعظيما برؤيتي . وكانت ابنتي قد بدأت تترعرع وهي على جانب عظيم من الجمال ولم تألم قلبي حين فكرت في اضطراري الى الافتراق عنها مرة ثانية . إذ ذاك صممت مرة واحدة على أن أتبنى طفلتي . صممت على أن أعود بها الى الوطن لأربيها وأرعاها . بكيت إذ ذاك وركعت أصلي لله

وسرت بال حين عدت بطفلتي وأخبرتها انني قد تبنيت هذه الفتاة إذ أنها كثيرا ماتمنت أن تجد رفيقا لروجر الصغير . وكان الفرق بين روجر وسيفيل لايزيد على عامين . وأخذ ارثر يكثر من الغياب عن المنزل ، وكان إذا عاد ووقفت أتحدث اليه أو أقترب منه رأيت شقيقتي بال تنظر الينا بانتباه وكنت أتوهم انني أرى عينيها مغرورقتين بالدموع . ترى هل كانت تشك في شيء ! لا أظن إذ أنها كانت تسرع الينا إذ ذاك وتضمنا بين يديها الى بعضنا

ومرت الأعوام ، وكان روجر إذ ذاك قد دخل الكلية وأخذ يدرس الكهرباء على الرغم من أن والده كان قد رغب في أن يدرس الطب . أما سيفيل فقد أرسلناها الى مدرسة في الجنوب ، وما كانت هي وروجر يتقابلان غير مرتين كل عام ، أثناء العطلات المدرسية . وفي العام الثالث من دراسة روجر وقعت بنا الضربة الكبرى . كانت سيفيل إذ ذاك قد بلغت الثامنة عشرة من عمرها فحضر الى روجر ذات يوم يطلب موافقتي على أن يتزوج منها بمجرد أن ينتهي من دراسته .

اسود العالم في وجهي ! إن سيفيل شقيقته فكيف يتزوج منها ! ! واذا أخبرته الحقيقة جر ذلك العار على والده أرثر وعلى نفسي وعلى سيفيل ، بل وجر الخجل على بال وعليه هو نفسه

ماذا كان يجب أن أصنع ؟ كانت جريمتي تسخر مني الآن ، وكان يجب أن ادفع الدين الى . . . . وفجأة سمعت صوت روجر العذب وهو ينهني من غفلتي فيقول — لست دبا ياخالتي روث فأكل سيفيل اذا تزوجتها وكذلك لن أنتزعها منك . انني أحبها وهي تحبني . . . أرجو أن توافقي ياخالتي ! . . .

ثم قبلني وهو يضمني بين ذراعيه ويضحك وخرج حاولت أن أستعيد قواى الا أنني لم أتمكن من ذلك وجلست أبكي وأندب حالي وفجأة فتح الباب ودخلت شقيقتي بال فوقفت الى جانبي ووضعت ذراعها على كتفي وقبلتني. وكانت مسرورة لأن ابنها روجر سيتزوج من سيفيل اذ أنها كانت تحب سيفيل. ولكنني أخبرتها أن روجر يجب أن يستأذن والده أرثر أولا في زواجه من سيفيل ويجب أن نكتب له لنسأله اذا كان يوافق على هذا الزواج أم لا. وجلست أنا أكتب اليه وبال تقرأ ما أكتب. لا أظن أن امرأة وضعت في مثل هذا المركز الحرج في يوم من الأيام.

ووصل رد أرثر فاذا به يقول انهما سيفيل وروجر لايزالان صغيري السن ولذا فهو ينصح بالانتظار. وقد عرفت من بين سطور الخطاب أنه يرجو هو الآخر أن يحدث شيء ما، في مدة الانتظار، يمنع ذلك الزواج من أن يتم، دون أن تكون هناك حاجة لذكر الحقيقة

ثم حضرت الى ابنتي سيفيل وهي مضيئة العينين ضياء يدل على الحب وأخذت تهمس في أذني وتعترف لى بحبها روجر مسكينة سيفيل! مسكين روجر! يا للتعاسة!

ونظمنا رحلة خلوية في ذلك الوقت لمناسبة قرب عودة روجر وسيفيل لاستئناف الدراسة. وبينما نحن في هذه الرحلة في العراء اذ فاجأتنا العاصفة وهطلت الأمطار الغزيرة واشتد البرق فاسرعنا نلتجيء الى كوخ حقير بعيد ولما دخلناه تبينت شقيقتي بال أنها قد نسيت معطفها تحت الشجرة التي كنا نتناول طعامنا تحتها. وخرجت لتأتي به.

واشتد الهواء والرعد والبرق. وسمعنا في اللحظة التالية صوتا هائلا... وصرخة داوية كانت الشجرة قد تكسرت بتأثير العاصفة ووقعت الى الأرض... وأسرعت أنا وقد اختنق صوتي فرأيت بال المسكينة تحت جذع الشجرة وقد سكنت وشحب وجهها.

حملناها بهدوء الى المنزل وهي تبتسم بحزن لمجهوداتنا الضائعة وقد امتنعت عن التعبير عن ألمها بكلمة واحدة ولما حضر الطبيب وفحصها خرج من الغرفة وأشار الى أن أتبعه. ورأيت الدموع تجول في عينيه ولم يقل لي غير هذه الجملة: «لقد تحطم ظهرها» وأغمى على بعد ذلك.

ودخلت الى غرفة شقيقتي بعد ذلك فواجهتني بشجاعة وطلبت مني أن أجلس الى جانبها. كان الطبيب أخبرها بكل شيء، فلم تظهر عليها آثار الخوف، قالت لي:

ــ انني أموت ياروث، ولست آسفة على ذلك لقد كنت أعرف منذ مدة طويلة انك قد نقضت عهد حبك لأرثر وقد تبينت مابينك وبينه من حب وانني لأعرف السبب الذي يجعله لايحضر الى المنزل الا نادرا ومع انني قد ظللت أحبه الا انني لا أشكو من ذلك اذ انني أستحق هذا العقاب ولكن أريد أن تعرفي انني لم أكن أعرف الحقيقة حين تزوجت ارثر، لقد صدقت اذ ذاك انك ترغبين في التفرغ لدراسة الموسيقى كما أدعيت ذلك أمامي ولو أن الدين كان يسمح لنا لكنت قد أعدت الى ارثر حريته منذ زمان طويل. ان الكاهن أوهير هز رأسه أسفا حين استشرته في ذلك...

فسألتها بسرعة:

ــ هل استشرت الكاهن أوهير في هذه المسألة؟

فأجابت:

ــ نعم.. قد فعلت ذلك بعد ميلاد روجر بمدة بسيطة وقد طلبت نصيحته في مسألة شقائي الآخر..

فسألتها وأنا لا أفهم ماتقول:

ــ أي شقاء آخر؟..

فأخذت تتحدث ببطء وهي تذكرني باليوم الذي وجدتها فيه ملقاة عند أسفل السلم وقد تحطمت بعض عظامها واعترفت لي انها لم تقع في ذلك اليوم قضاء وقدرا كما أدعت.

أخبرتني انه في ذلك اليوم حضر الى المنزل صديقها القديم ريتشار مارتن وهو متعطش لرؤياها بكل قلبه، كما أخبرها وانه لم يحب سواها طول حياته فاحتجت هي على زيارته وأخبرته انها وحدها بالمنزل ورجته أن يخرج. الا أن ريتشار أمسكها بين ذراعيه فارتعبت وصرخت واشتد فزعه هو فوضع يده على فمها يمنعها من الصراخ فأخذت تصيح به انها تكرهه. واذ ذاك شعر المسكين انه فشل في حبه وجن لقربه منها فحملها وصعد بها السلم الى الغرف العليا وأخذت هي تدفعه وتدافع عن عرضها بكل قواها الا أنها لم تكن توازيه قوة... وأخيرا صرخت اشمئزازا ورعبا..

ولما عادت الى صوابها كان قد رحل الى المنزل فأسرعت وهي كالمجنونة تبحث عن مسدس وقد خطر في بالها للمرة الأولى أن تقتل نفسها ولكنها مالبثت أن فكرت في ارثر وفي نفسي وفي العار الذي ستلحقه بنا فعدلت عن فكرها وصممت على ألا تفعل ذلك وعلى ألا تذكر لنا الحقيقة..

وفكرت فى وسيلة أخرى فارتدت ملابسها وقذفت بنفسها من أعلى السلم حيث وجدتها متألمة مرتعدة . وفى اليوم حملت اليها أخبار موت ريتشار فعرفت أن سرها قد أصبح فى أمان من الانتشار . واذ قل انشغال بالها أخذت فى التحسن ... ثم عرفت بعد ذلك انها ستصبح أما ... أما لابن من ريتشار . فماذا كان في وسعها أن تفعل اذ ذاك ؟ لو أنها اعترفت بالحقيقة لجرت بذلك العار على نفسها وعلى ابنها . ولو أنها ظلت على صمتها لكان معنى ذلك أنها تخدع زوجها الذى تحبه .

واذ كانت تكر الشهور أخذت تتمنى لنفسها ولابنها الموت . وتبع ذلك أن ولدت ومرضت مرضها الطويل . ولما استعادت قواها ورأت ابنها عرفت انها تحبه . وكان أثناء دخولها فى دور النقاهة أن تبينت انى قد قدمت لها حبيبى . تمزق قلبها اذ ذاك وأسرعت الى الكاهن أوهير تطلب مساعدته ونصيحته .

وطمأنها الكاهن وأخبرها أن تستبشر فان الله غفور رحيم وهو سيساعدها بلا ريب . وما كان من الممكن السماح في مثل هذه الحالة . وأى فائدة تجنى من نشر قصة ميلاد روجر وكان ريتشار قد كفر عن ذنبه أما واجبها هى فهو أن تحب وتعنى بالطفل وتقود خطاه نحو الطريق السوى .

ولذا فها هى ذى قد حفظت السر على الرغم من مرور الأعوام واعتنت بالولد حتى كان يمكن لأرثر أن يفخر به . ولكنها رأت أنه لا يمكن أن تموت مع علمها بوالده وخاصة وهو يرغب فى الزواج من سيفيل . وأخذت تستعطفنى اذ ذاك أن أعتنى به ، وأخبرتنى أنها قد سامحت ريتشار منذ زمان طويل . مسكين ريتشار ! ذكرت اذ ذاك وجهه الشاحب وحزنه وهيئته التى تدل على اليأس حين غادر منزلنا للمرة الأخيرة . ولم أجد مايدفعنى الى الشعور بالكراهية من نحوه . ألم يدفعنى الاغراء أنا أيضا ؟

وأخذت الدموع تسقط من عينى مدراراً وأنا أستمع لقصتها بعواطف مختلفة ممتزجة .

وفي وسط هذا الشقاء المحيط بى شعرت بالسرور العظيم وأنا أتبين فكرة واحدة وهى أن روجر ليس ابنا لارثر ولذا فهو ليس شقيق سيفيل . لقد أخذ الظلام ينقشع عن حياة الصغيرين .. روجر وسيفيل وسيمكن أن يتزوجا .

ولكنى صرخت اذ عرفت أن بال يجب أن تذهب ضحية فى سبيل سعادة الآخرين . ولكن حين نظرت اليها والى السكون المخيم عليها وفكرت فى هدوء المقابر كدت أحسدها ...

ثم لحظت أنها تتكلم فانحنيت برأسى الى فمها أستمع لكلماتها إذ أن الضعف كان قد تملكها حتى ضعف صوتها وقد سألتنى باستعطاف عما اذا كان ارثر يسامحها اذا عرف الحقيقة . فأكدت لها انه يسامحها لأنى كنت أعرف ما سيشعر به من حزن حين يسمع كل هذه التفاصيل .

ثم ناديت سيفيل وروجر وطلبت اليهما الدخول الى الغرفة فباركتهما ووضعت يد روجر فى يد سيسفيل واستحلفته أن يكون أمينا مخلصا فى حياته وأخذت تنصحه

وطلبت منا ألا نبكيها بل أن نفكر فيها دائما ونصلى من أجل روحها . ثم أخذت تعبر لى عن حبها لأرثر وطلبت منى أن أبلغه ذلك . ثم ابتسمت ووضعت فى يدها بعض الزهور ومن ثم أغلقت عينها ...

وعاد ارثر بعد شهر فاصطحبته الى المقابر وهناك الى جانب القبر الذى يضم جثمان شقيقتى الصغيرة أخبرته القصة كلها بكل هدوء . ولبثنا كنا مدة طويلة والدموع تسقط من عينه فتروى الأرض . ومن ثم وقف وغادر المكان دون أن ينبس ببنت شفة . ولبثنا مدة لا نتحدث في هذه الشئون .. ولكن الزمن كفيل بتخفيف الأحزان

واننا لنترقب زواج روجر من سيفيل فى فصل الربيع حين ينتهى روجر من الدراسة . وبعد ذلك ، ربما بعد ستة أشهر ، قد نوحد أنا وارثر حياتينا . لقد كانت الأعوام الماضية ملأى بالشقاء ، ولكن كم عدد السعداء فى هذا العالم ؟

ان روجر يقدس ذكرى والدته . وسيسفيل تعبد روجر حبا . ولكنها تخجل من أرثر الذى ينظر اليها بحزن كأنه على استعداد لأن يتخلى عن بضع أعوام من حياته على أن يعلن أمام العالم أنها ابنته . ولكن ذلك لا يمكن أن يتم !

ليلى الاخيلية تصف مجنونها للحجاج

قال سعيد بن العاص : كنت أدخل مع عنبسة بن سعيد اذا دخل على الحجاج . فدخل يوما فدخلت اليهما وليس عند الحجاج غير عنبسة ، فقعدت فجيء الحجاج بطبق فيه رطب فاخذ الخادم منه شيئا ، فجاءني به ، ثم جيء بطبق حتى كثرت الأطباق ، وجعل لا يؤتون بشيء إلا جاءني منه شيء ، حتى ظننت أن ما بين يدي أكثر مما عندهم . ثم جاء حاجب فقال : امرأة بالباب . فقال له الحجاج : أدخلها . فدخلت . فلما رآها الحجاج طأطأ رأسه حتى ظننت أن ذقنه قد أصاب الأرض . فجاءت حتى قعدت بين يديه فنظرت اليها فاذا هي امرأة قد أسنت ، حسنة الخلق ، ومعها جاريتان لها ، وإذا هي ليلى الأخيلية ، فسألها الحجاج عن نسبتها فانتسبت . فقال لها : ياليلى ما أتى بك؟ فقالت: أخلاف النجوم، وقلة الغيوم، وكلب البرد، وشدة الجهد، وكنت لنا بعد الله الرفد. فقال لها: صفي لنا الفجاج فقالت: الفجاج مغبرة، والأرض مقشعرة، والمنزل معتل، وذو العيال مختل، والهالك المقل، والناس مسنتون، رحمة الله يرجون، وأصابتنا سنون مجحفة مبطلة، لم تدع لنا هبعا ولا ربعا، ولا عاطفة ولا نافطة، أذهبت الأموال وفرقت الرجال، وأهلكت العيال، ثم قالت : انى قد قلت في الامير قولا ، قال : هاتي ، فأنشأت تقول :

أحجاج لا يفلل سلاحك انما الـ ... منايا بكف الله حيث تراهـا
أحجاج لا تعطى العصاة مناهمو ... ولا الله يعطى للعصاة مناها
اذا هبط الحجاج أرضا مريضة ... تتبع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذى بها ... غلام اذا هز القناة سقاها
سقاها فرواها بشرب سجاله ... دماء رجال حيث قال حماها
اذا سمع الحجاج رز كتيبة ... أعد لها قبل النزول قراها
اعد لها مسمومة فارسية ... بأيدى رجال يحلبون صراها
فما ولد الابكار والعون مثله ... بنجد ولا أرض يجف ثراها

قال : فلما قالت هذا قال الحجاج : قاتلها الله ما أصاب صفتى شاعر مذ دخلت العراق غيرها ، ثم التفت الى عنبسة بن سعيد فقال : والله انى لأعد للأمر عسى ألا يكون أبداً ، ثم التفت اليها فقال : حسبك . قالت : انى قد قلت أكثر من هذا . قال : حسبك ، ويحك حسبك ، ثم قال : ياغلام ، اذهب الى فلان فقل له اقطع لسانها . قال فأمر باحضار الحجام فالتفتت اليه فقالت : ثكلتك أمك أما سمعت ماقال ؟ إنما امرك أن تقطع لسانى بالصلة ، فبعث اليه يستثبته . فاستشاط الحجاج غضبا وهم بقطع لسانه وقال : اردها . فلما دخلت عليه قالت : كاد وأمانة الله يقطع مقولى ، ثم أنشأت تقول :

حجاج أنت الذى مافوقه أحد ... الا الخليفة والمستغفر الصمد
حجاج أنت شهاب الحرب اذلقحت ... وأنت للناس فى جنح الدجى تقد

ثم أقبل الحجاج على جلسائه فقال : أتدرون من هذه ؟ قالوا : لا ؟ والله أيها الأمير ، الا أنا لم نر امرأة قط أفصح لسانا ، ولا أحسن محاورة ، ولا أملح وجها ، ولا أرصن شعراً منها . فقال : هذه ليلى الاخيلية التى مات توبة الخفاجى من حبها ، ثم التفت اليها فقال : أنشدينا ياليلى بعض ماقال فيك توبة . فقالت : نعم أيها الأمير هو الذى يقول :

وهل تبكين ليلى اذا ما بكيتها ... وقام على قبرى النساء النوائح
كما لو أصاب الموت ليلى بكيتها ... وجاد لها دمع من العين سافح
وأغبط من ليلى بما لا أناله ... بلى كل ما قرت به العين صالح
ولو أن ليلى الاخيلية سلمت ... على ودونى تربة وصفائح

لسلمت تسليم البشاشة أو زقى ... اليها صدى من جانب القبر صائح

فقال لها : زيدينا ياليلى من شعره . فقالت هو الذى يقول :

حمامة بطن الواديين ترنمى ... سقاك من الغر الغوادى مطيرها
أبينى لنا لازال ريشك ناعما ... ولا زلت فى خضراء غض نضيرها
وأشرف بالقور اليفاع لعلنى ... أرى نار ليلى أو يرانى بصيرها
وكنت إذا ماجئت ليلى تبرقعت ... فقد رابنى منها الغداة سفورها
يقول رجال لايضيرك نأيها ... بلى كل ماشف النفوس يضيرها
بلى قد يضير العين أن تكثر البكى ... ويمنع منها نومها وسرورها
وقد زعمت ليلى بأنى فاجر ... لنفسى تقاها أو عليها فجورها

فقال لها الحجاج : ياليلى ، ماالذى رابه من سفورك ؟ فقالت : أيها الأمير ، كان يلم بى كثيراً فأرسل الى يوما إنى آتيك ، وفطن الحى فارصدوا له . فلما أتانى سفرت فعلم أن ذلك لشر . فلم يزد على التسليم والرجوع . فقال : لله درك فهل رأيت منه شيئا تكرهينه ؟ فقالت : لاوالذى أسأله ان يصلحك غير انه قال لى مرة قولا ظننت انه قد خضع لبعض الأمر فأنشأت تقول :

وذى حاجة قلنا له لاتبح بها ... فليس اليها ماحييت سبيل
لنا صاحب لاينبغى أن نخونه ... وأنت لأخرى فارغ وحليل

فلا والذى أسأله ان يصلحك مارأيت منه شيئا حتى فرق الموت بينى وبينه . قال : ثم ماذا ؟ قالت : لم يلبث ان خرج فى غزاة له فأوصى ابن عمه اذا أتيت الحاضرة من بنى عبادة فناد بأعلى صوتك :

عفا الله عنها هل أبيتن ليلة ... من الدهر لايسرى الى خيالها

فخرجت وأنا أقول :

وعنه عفا ربى وأحسن حاله ... فعز علينا حاجة لاينالها

قال : ثم ماذا ؟ قالت : لم يلبث ان مات فأتانى نعيه . قال فأنشدينا بعض مراثيك فأنشدت :

لتبك العذارى من خفاجة نسوة ... بماء شئون العبرة المتحدر

قال : فأنشدينا

كأن فتى الفتيات توبة لم ينخ ... قلائص يفحصن الثرى بالكراكر

فلما فرغت من القصيدة قال محصن الفقعسى ، وكان من جلساء الحجاج : من هذا الذى تقول هذه هذا فيه ؟ فوالله انى لأظنها كاذبة . فنظرت اليه ثم قالت : أيها الأمير ، ان هذا القائل لو رأى توبة لسره ألا يكون فى داره عذراء إلا وهى حامل منه ، فقال الحجاج : هذا وأبيك الجواب ، وقد كنت عنه غنيا ، ثم قال لها : سلى ياليلى تعطى . قالت : أعط فمثلك أعطى ، فاجزل . قال : لك عشرون . قالت : زد فمثلك زاد فأجمل . قال : لك أربعون ، قالت : زد فمثلك زاد فأفضل قال : لك ستون . قالت : زد فمثلك زاد فأكمل . قال : لك ثمانون . قالت : زد فمثلك زاد فأتم . قال : لك مائة واعلمى ياليلى أنها غنم . قالت : معاذ الله أيها الأمير ، أنت أجود جودا ، وأمجد مجدا ، وأورى زندا من أن تجعلها غنما . قال : فما هى ؟ ويحك ياليلى ! ! قالت : مائة ناقة يدعى بها . فأمر بها . ثم قال : ألك حاجة بعدها ؟ قالت : تدفع الى النابغة الجعدى فى قرن . قال : قد فعلت . وقد كانت تهجوه ويهجوها . فبلغ النابغة ذلك فخرج هاربا ، عائذا بعبدالملك . فاتبعته الى الشام . فهرب الى قتيبة بن مسلم بخراسان ، فاتبعته على البريد بكتاب الحجاج الى قتيبة . فماتت بقومس ويقال بحلوان

الآنســة جوفر

رواية مسلسلة للروائى المعروف مرسيل پريفو (عضو الاكاديميه فرنسيز)

الجزء ـ ٣ ـ الفصل ـ ٣

هكذا تبدأ الرواية

كاميل جوفر تعيش فى منزل منعزل مع والدها الطبيب والخادمة الحمقاء. وقد أحبت وهى صغيرة لويز لوت وتواعدا على الزواج ولكنه اضطر الى الرحيل مع والده إلى مدينة بعيدة وهو يبلغ الرابعة عشرة من عمره. ولما كبرت كاميل وشبت جميلة ظنت أن حبيب طفولتها قد نسيها وكادت تيأس من الزواج منه فحزنت. إلا أن جيرانها آل هوك الكاهن: زوجته وبناته الثلاث كن لها خير مسليات. واقترب يوم زواج مارى كبرى الفتيات، ولما كان أهلها سيسافرون معها بعد الزواج فقد أجروا منزلهم للضابط جيا كوميتى. وتعرفت كاميل بهذا الضابط فى حفلة زواج مارت وظنت أنه فرصتها الوحيدة للزواج. وتمكن الضابط من الاعتداء على عفافها. ولما طلبت منه أن يتزوجها اختفى عن المدينة. واشتد قلق كاميل وخوفها من أن يعرف والدها الطبيب سرها وأنها تحمل جنينا فى أحشائها حتى فكرت في الانتحار. وبينا هى فى شدة الحزن والقلق والخوف اذا بحبيبها منذ الطفولة، لويز، يعود اليها وقد صار رجلا وأخبرها أنه لا يزال يحبها ورأت فيه وسيلة للتخلص من العار فتم زواجها منه وشعرا بسعادة عظيمة فى ذلك الزواج ولم يتبين زوجها الحقيقة لبساطته واخلاصه وعدم حنكته فى شئون الحب وسافرا عقب الزواج الى نيس ليقضيا شهر العسل وخلفا الطبيب جوفر وحده فى المنزل المنعزل بتونيان. ثم اطلعت كاميل بالصحف على نبأ وفاة جيا كوميتى فتحركت فى قلبها علامات الأسى وشغل فكرها بجنايتها وأنها أصبحت أما فحاولت أن تخبر لويز بذلك ولكنها لم تجرؤ، وأخيراً صرحت لروبير الطبيب (صديق لويز) وأخبرته أنها باحت له بسر سعادتها مع زوجها والا فانها وزوجها هالكان لو اطلعه على هذا السر ولكنه طمأنها وعاهدها على أن يعمل جهده لعدم ظهور الحقيقة أصلا.

-- ولكن أرجو ياوالدى، ألا تمس «الغابة العذراء» بسوء أو تغير معالمها!

كان الطبيب جوفر قد احترم تلك الرغبة التى أبداها له لويز من نافذة القطار فى اللحظة التى كان يغادر فيها تونيان. والآن وقد مر صيف كامل وخريف كامل على حديقة منزل آل هوك كانت النباتات قد عادت الى الظهور بها واخفاء ممراتها، وقد بدأت أغصان الاشجار تشتبك من أعلى.

وكان المطر يتساقط فى اليوم الذى وصلت فيه كاميل مع زوجها الى تونيان، وأخذ الزوجان ينظران الى تلك المدينة الحزينة من نافذة غرفة الطعام والى الضباب وهو يعلو النهر

كم من الاعوام قد مرت منذ كانا طفلين يصيبهما البلل من أمطار الخريف كما يصيب الغابة العذراء، فكانا يسرعان إلى الاحتماء فى غرف نفس ذلك المنزل التى كانت مهجورة اذ ذاك، وقد ابتلت ملابسها وأخذا فى الضحك.

أما الآن فقد أخذت دائرة حبهما تغلق عليهما وأصبح كل منهما للآخر لا يفترق عنه. فاستعادا الماضى وقد ذكرا له فضله فى جمعهما فتصاعدت آهة الراحة من قلبيهما

الى شفاههما وتبادلا قبلة ساكنة رزينة أمام تلك الطبيعة المنهمرة الدموع.

آه ! تلك اللذة لمتابعة الحياة الساكنة ومواجهة المنزل الجديد ! مثل الطيور الرحالة حين تتقابل فى زاوية حائط أو فوق أخشاب عالية وتبدأ فى صنع عشها من جديد ! آه ! تلك اللذة لاغلاق الابواب على السعادة المشتركة المنعزلة حين تشتبك الايدى بالقرب من النار التى توشك على الخمود ، وتقترب الاقدام وينظر أحدهما فى عينى الآخر وهما يفكران فى مشاريع المستقبل ! وإذا نام أهل المنزل ساد الصمت ، أما فى الداخل فلا يزال الصمت وأما فى الخارج فلا يزال يسمع صوت سقوط الامطار وصوت تحرك أغصان الاشجار بفعل الرياح ورجع الصدى لمجرى النهر . . . وفى المنزل المجاور يوجد رجل عجوز يحبانه ويسرعان لتقبيله كل صباح حين يتناول عصاه ويستعد للخروج ... وبين ذلك السلام والهدوء تنام المدينة كلها وهى لاتأبه لهما أو تهتم بهما . وهناك بعض أصدقاء ، على كل حال تقع عليهم أنظارهما كل يوم فيتحدثان عنهم فى المساء . فتقول كاميل:

« أليست مارت بديعة الجمال ؟ بسيطة سعيدة بمركزها المتواضع الى درجة كبيرة وهى التى كانت تحلم بمستقبل سياسى عظيم لزوجها ! »

فيجيبها لويز وهو يداعب أصابع زوجته :

« ياعزيزتى : ان مارت محقة فماذا يجيبها ان أثارت روح الطمع فى نفس زوجها دلكومب ؟ يجب أن ينسى الانسان المال اذا كانت لديه السعادة . . هل تظنين أنى الآن أحلم بالشهرة كما كان حالى أيام الدراسة فى بعض الاحيان ؟ ... كنت فى ذلك الوقت قد بدأت أشتغل بكتاب تاريخى معين هو تاريخ « فلورنسا » ثم أهملته منذ ذلك الحين ... »

فانحنت الى عنقه وقبلته طويلا شكرا له على تلك الـكلمة . .

لقد كانت سعيدة حقا هى الاخرى . لقد أغلقت حياتها حياة الزوجة المحبوبة على كل الحوادث المروعة كما تخفى مياه البركة من تحتها جثة ميت . ياللقوة الغريبة القائقة على النسيان يهبها الحب لـكل النساء ! وقد قبلت دون ثورة أو احتجاج احترام زوجها لأمومتها وما عادت تشعر بالرعب إذا وقعت عينى لويز على عينيها . اما مع والدها الطبيب جوفر مثلا فقد كانت تشعر بشدة المضايقة حين يسألها عن سنها فكانت تضطرب وكان الخوف من أن يحذر كل شىء يجعلها تتمتم بكلمات نفى كثيرة كانت كفيلة أن تثير الشبهات فى نفس ذلك العجوز .. ولـكنها كانت تقلل من رؤيته قدر استطاعتها وحين كانت تختلى بزوجها ، كانت لاتخاف شيئا

أفليس لها ذراعاه المفتوحتان تحتمى فيهما من كل شىء ؟ ؟

وليست هناك فوق ذلك عواطف جامحة تخترق تلك المعيشة الهادئة فى مدن الريف . انها لتتبخر تلك العواطف بين العواطف الاخرى الهادئة الشائعة بين الجميع والقلب هناك تبطىء ضرباته . وتهدأ الاعضاء ، ويطول الوقت كثيرا

وحدثت حادثة كانت كفيلة باثارة القلق لدى كاميل لو أنها كانت على شىء من الدقة . ولـكنها استغربت لها دون أن تضطرب . فقد ذهب جان الخادم يقص على سيده وهو مضطرب جدا أنه قد شاهد شخصاً بالقرب من حاجز الحديقة وهو يحاول أن يتطلع فى داخل المنزل وأتم قصته قائلا :

— ولما اقتربت منه أسرع بالهرب فوقع منه أثناء عدوه هذا الشىء

وكان ذلك الشىء هو منظار صغير من ذلك النوع الذى يستعمل فى المسارح بغرض التقريب والتوضيح .

وقال لويز :

— ياله من لص غريب يترك أشياءه بدلا من أن يحمل أشياء الآخرين ... ولـكن ألم تر وجهه ؟

فأجاب جان :

— فليعذرنى سيدى لأنه قد أسرع بالهرب ولم يكن الضوء كافياً ليوضح شكله ... ولـكنه يشبه لارتيج الصغير التاجر بميدان نوتردام

ففكرت كاميل فى نفسها قائلة :

« ربما كان لا يزال مقيما على حبي وأراد أن يراني من هنا ما دمت قد امتنعت عن الخروج ... »

ولم يغضبها ذلك الاحترام البعيد المقدم الى جمالها . وفوق ذلك لم يتكرر هذا الحادث . ولم يحضر أحد لطلب المنظار . ولم يعد أحد يفكر في هذا الحادث بعد ذلك

استمرت الامطار تهطل طول شهر ديسمبر . وبالجملة فقد كان الجو كثير التقلب فمن رياح شديدة إلى ضباب الى برق ...

ففي ذلك الجو كان من المستحيل القيام بأية نزهة خارجية ولذا كانت كاميل تقضي أيامها بالمنزل . وكانت مارت دلكومب تلازمها كل مساء وكانت مارت قد سرت إذ بدأت تظهر عليها السمنة الدالة على أنها ستلد ، وكانت قد لبثت تنتظر تلك السمنة بصبر فارغ حتى ظهرت أخيراً بعد ستة أشهر من يوم الزواج ، وكانت مارت تقول بسذاجة :

« وعلى الرغم من ذلك ، لقد بذلنا أنا وبول ، أقصى جهودنا ! »

وكانت المرأتان تشعران بالسرور وهما تحيكان اللفافات الخاصة بالمواليد ، وإن هذه اللفافات لهي مصدر لذة عظيمة لكل نساء الريف إذا أوشكن على أن يصرن أمهات . وكانت السيدة بوريس تأتي لزيارة كاميل من وقت لآخر وهي تقود ابنتها جان الضعيفة الصحة إذ كانت لم تتزوج بعد . وكذلك كان يحضر للزيارة دسبيرو واسكادا فال الخجول ... وكذلك كان هناك زائر رشيق مهذب يحضر أيام الثلاثاء والخميس والسبت من كل أسبوع وهو لا يعدم ، على الرغم من اختلاف الفصل ، أن يجد زهوراً يحملها معه في زياراته المنتظمة ، وكان ذلك هو الشريف هنري روكبكيه .

إذ أنه قد عاد كما كان أعلن من قبل ، وطرق باب آل دلكومب وأخذ بواسطتهم يقترب تدريجيا حتى تمكن من أن يلج باب آل لوت أو لويز وكاميل ، وكان قد تضايق من تلك الزيارات في بادىء الأمر إذ أن حضور الزوج كان يقيد من حريته بلا شك ، لكن لويز لم يكن قد أساء استقباله وقال لزوجته :

— لماذا أحقد على هذا الشاب ؟ انه قد وجدك جميلة في نظره مدة غيابي ، فهل هذه جريمة ؟ بالعكس ، انني مدين له بعض الشيء في سعادتي ما دام كان في امكانه أن يأخذك ثم تركك لي ...

وهكذا ما لبث البشر أن عاد إلى الشريف . وبعد ثمانية أيام كان لا يفتأ يقول إذا تحدث عن لويز :

« صديقي العزيز .... عزيزي لوت ... »

وكان كل سروره ينحصر في الجلوس أمام السيدتين وهما تشتغلان بالحياكة ، بين رائحة الأقمشة الجديدة . وكان يحاول أن يجتذبهما اليه بطريقة سرية وهو يخلط تحياته بذكرى الأيام التي قضاها في باريز وحوادثها وحوادث الحي الذي كان يقطنه ، وكان وصفه يمتلىء بالكلمات الغريبة ويتجلى فيه الاحتقار لتلك الحياة المتماثلة ، وكان يختم حديثه عادة بهذه الجملة ، يلقيها بنبرات حزينة :

— انكما لتريان أنه كان في امكاني أن أعبث هناك وأضحك كما أريد ، ولكن كان يضايقني كثيراً أن أحرم من رؤية الريف ... أن الجو ردىء جدا اليوم . أليس كذلك ؟ حسناً ! ولكنني أفضل هذا المطر وأنا في قصري هنا على الشمس إذا ظهرت في غرفتي بشارع كجاس بباريز ولذا فقد عدت بمجرد أن سمحت والدتي بذلك .

أما ما كان يمتنع عن ذكره فهو أن عودته الى تونيان لم تصرح له بها أمه الا بعد أن تزوجت كاميل . وعلى الاقل كان الشريف وحده يعتقد أن هذا كان السبب المباشر . وفي الحقيقة كان هناك سبب آخر لم يشتبه فيه في مبدأ الامر ولكنه ما لبث أن عرفه فيما بعد .

وفي ذات ثلاثاء من شهر يناير وصل الى منزل آل لوت مبكراً عن عادته في اللحظة التي انتهوا فيها من تناول طعامهم ، وكان يتحرق شوقا للكلام ، وأراد أن يقول كل شيء دفعة واحدة ، فأجلسوه وأحضروا له قدحا من القهوة . وبدأ يتكلم فقال :

— آه يا أصدقائي ! انني في مركز حرج .. هاهي ذي أمي تريد أن تزوجني الآن ! لقد كانت تخفي عني سرها تلك العجوز ! انني لم أشك في واياها قط ... ولكنها

ستری أننی لست سلس القیاد الی هذه الدرجة ! انها لم توافق علی زواجی حین أردته . . والآن وأنا لا أرید الزواج البتة ترغب هی أن تزوجنی

فسأله لویز وهو یبتسم :

— وبمن ترید السیدة والدتك أن تزوجك ؟

فأجابه :

— هه ! إنها فتاة لا تعرفها یاعزیزی ! هی فتاة حدباء ! لافالیت الصغیرة وهی إحدی قریباتی ومتناهیة الدمامة ! انها أشبه بالطائر فی جسمها ... تكاد لا تفرق ساقیها عن سیقان هذه المائدة... بهذه ترید أمی أن تزوجنی دون أن تخطرنی من قبل !... وهی مستعجلة فوق ذلك وإذا أطعتها الیوم تم الزواج غدا ! ..

فسألته كامیل بخبث إذ أن المرأة تحتفظ دائما بشیء من الحقد نحو الرجل الذی ضحاها من أجل مصلحة مالیة:

— ولكنها غنیة جدا بلا ریب ، قریبتك هذه ، ألیس كذلك ؟

ظهرت آثار التفكیر علی وجه روكبیكیه وأجابها :

— بلا شك ... هی غنیة جداً ... فلدیها قصور وأراض واسعة .

ووقف الی جانب النافذة یشیر بذراعیه لیبین الأملاك الواسعة ، ثم سكت بضع دقائق یفكر وهو یدیر بصره علی كل تلك الأرض التی یریدون أن یجعلوه سیدها ، والتی كانت تمتد أبعد من مدی بصره . ثم قال وهو یجلس من جدید :

وكذلك لدیها الكثیر من الذهب الذی جمعه والدها حین كان یتاجر فی الخمور ، وقد جمع ذلك العجوز تلالا من الذهب وهو رجل بخیل . فهو لا یلبس ابنته غیر الملابس القدیمة التی كانت لأمها ، ان لها لهیئة الشحاذة ، وكان یتركها تتنزه طول یومها فی الشوارع فتعبث مع صغار الأولاد من الرعاة

ثم خفض من صوته وقال :

— وكذلك حدثت لها حادثة حین كانت تبلغ الخامسة عشرة من سنها ... إنها حادثة قذرة لا أعرفها تماما ، وقد رفضت والدتی أن تقصها علی . إلا أنهم فی الریف یذكرون أنها قد (وأنتم تفهمون ما أرید) مع ابن احد المزارعین... وكان شابا جمیلا . ومن ثم فقد أرسلوها إلی المدرسة الداخلیة . ویذكرون أنها كانت تضرب الراهبات هناك ...

فقال لویز :

— یا للشیطان ! اننی أری من الصواب أن تتردد

فأجابه :

— هه ! اننی لا أتردد یاصدیقی فقط ! هل تظن اننی أرضی بمخلفات الفلاحین ، بفتاة حدباء ، سیئة الخلق ؟ أنها تعذب والدها بكل أنواع العذاب منتهزة الشلل الذی أصاب نصف جسمه . یا للعجوز المسكین ! انها تتركه فی أقذاره بحالة لم یتركها فیها مطلقاً فی الماضی . هل أتزوج بفتاة مثل هذه حتی تضربنی وتضحك الناس منی . . اننی أفضل الزواج بارما .. هل یعجبكم هذا ؟؟

فقالت كامیل :

— ولكنك إذا لم تتزوج من قریبتك هذه فستجد لها زوجا بسهولة مادامت علی ذلك الغنی . أفلا یمكن أن نغض النظر عن أشیاء كثیرة بالنسبة لثروة الآنسة لا فالیت ؟

وقف روكبیكیه وقال وهو یتناول قبعته :

— لا ! إنك تعرفین یاسیدتی لوت اننی لا أهتم بالمال. فماذا تجدینی زیادة أملاكی ؟ إن لی من أملاكی الكفایة إذ فی إمكانی أن أقضی یوما كاملا فی الصید متنقلا فی أجزاء مختلفة دون أن أغادر أملاكی !...

وخرج ولم یره أحد مدة أسبوع كامل فی مدینة تونیان وكان الأصدقاء دسبیرو واسكادا فال وبوریبس ینتظرونه عبثا بعد ظهر كل یوم بالنادی حتی أخذوا یتساءلون :

— ماذا حدث للشریف منذ ثمانیة أیام ؟ هل هو مریض ذلك المسكین ؟

وتواعدوا علی أن یذهبوا لزیارته فی الیوم التالی . وحین ذهبوا الیه لم یجدوه مریضا ، بل كان مشغولا بمناقشات مستمرة مع والدته حول موضوع الفتاة لافالیت التی ترید أن تزوجه بها . ولم یكن من السهل اقناع تلك الأم .

كانت الأم روكبیكیه إحدی السیدات العجوزات اللاتی لا یغادرن منازلهن وما كانت تری إلا قلیلا من الزائرین لأنها كانت تسیء استقبالهن . وما كانت تحب غیر

ابنها الذى ولد متأخراً والذى كان من جراء افراطها فى حبه أن ساءت معيشتها الزوجية . وكانت قد وضعت نصب عينيها غرضا واحداً هو : جعل ابنها هنرى روكبيكيه غنياً جداً وسد الخروق التى سببها زوجها فى حياتها . على أن حبها الأمى ما كان يعميها فقد كانت تعلم أن ابنها على شىء من الحماقة وانه يعجز عن التصرف وحده . ولذا فانها كانت تظهر له الحدة والغضب وتهدده حتى يجيب رغباتها ، وهى وسيلة ناجحة دائما .

قالت له :

— آه . إذاً فأنت لا تريد أن تصنع ما أريد... وتريد !!

فقال لها روكبيكيه وقد انتابته ثورة من الحماس :

— لا !

— حسنا يا ولدى ! إذهب إلى حيث أردت فانني لا أدع مني ولداً لا يطيع أوامرى .

وحاول « الولد » مرتين أو ثلاث مرات أن يغير من إرادتها وكلها الأخيرة . ولكنه فى اليوم التالى كان الرأى الصواب قد وصل اليه ففهم أن ثورته عديمة النفع وأن والدته لا تتصرف بهذا الشكل إلا من أجل نفعه وخيره . وبعد ، أفليست هى المحقة دائما ؟

إذ ذاك ذهب يبحث عن أمه العجوز مثل التلميذ النادم فوجدها تجوب أنحاء القصر وهى تراقب الطاهية وتتشاجر مع البستانى ، وحين مد إليها جبهته بشكل خاص قبلتها بشفتيها الجافتين وهى تقول له :

— حسن ! حسن ! إن الليل قد ردك حكيما .... إنك لا تزال ترغب فى شرب الشكولاتة وركوب فرس والدك..

ثم أردفت بصوتها الأجش فقالت هذه الكلمات التى جعلت الشريف يرتجف :

— لقد كنت أمرت الخادم كاديشون أن يبيع جوادك فاذهب واخبره ألا يذهب لبيعه

كل ما كان يحدث فى حفلات الزواج حدث بمناسبة زواج الآنسة لافاليت وكانت والدة روكبيكيه قد فكرت فى هذا المشروع منذ زمان بعيد ووجدت فيه وسيلة لتوسيع أملاكها التى ظلت على حالها منذ وفاة زوجها . وهكذا إذا تم الزواج سيجد روكبيكيه نفسه من أغنى أغنياء المقاطعة .

وكان الأصدقاء دسبيرو واسكادافال وبوربيس ينتظرونه عبثا بعد ظهر كل يوم بالنادى حتى قلقوا عليه

خضع روكبيكيه ولو أنه كان يرغب إلى حد ما أن يتزوج بتلك الحدباء إلا أنه كان يخشى السخرية التى ستنهال عليه بسبب مثل هذا الزواج ، وبعد مناقشة اعترف لوالدته بأن هذا هو السبب الرئيسى لامتناعه عن الزواج . فضربت العجوز يداً بيد وصاحت به :

— آه ! كان يجب أن تذكر ذلك ... إنك تخاف أن يهزأوا بك يا سيدى ... ومن يجرؤ على السخرية منك؟ أصدقاء تونيان بلا شك .. يالهم من زملاء ظرفاء !...

دسبيرو الذي يكاد يقبل قدميك كي يحتفظ بصداقتك ، أو بوربيس الذى يريد أن زوجك بابنته ، أو اسكادافال .. الذى أنصح له ألا يتكلم عن زوجات الناس لأن زوجته تخونه أكثر من أى امرأة أخرى ... هه ! أيها الأحمق انكم حين تقول لهم . « سأتزوج بالآنسة لافاييت التى تملك نصف مليون من الفرنكات بخلاف الأراضى ، ستجدهم يغضون بأنظارهم خجلا ، وسيحسنون من تحيتك بعد الآن !

اقتنع روكبيكيه بهذا الرد وفى ذات مساء حوالى الساعة التاسعة بينما كان الأصدقاء الثلاثة يجلسون بالنادى وقد غلب عليهم النعاس إذ سمعوا فجأة صوت وقع أقدام وما لبث صوت صديقهم روكبيكيه ان رن فى الردهة وهو يقول :

— يا لله ! أينامون هنا من يوم ان امتنعت عن الحضور ؟

واستيقظ كل من بوربيس واسكادافال ودسبيرو وقد أصابهم الفزع وقال كل واحد منهم وقد التفوا حول صديقهم :

— آه ! الشريف آه .. الوداع ياهنرى ! ماذا حدث لك أيها المسكين ؟ كل هذا الوقت الذى مضى ...

— هل سافرت ؟

— هل مت ؟

أحاطهم روكبيكيه بنظرة مستديرة تجلى فيها فخره بثروته العظيمة ثم قال !

— هه ! اننى لم أمت ! وكل ما هنالك يا « أولادى » هو أننى أتزوج !

تبادل الأصدقاء الثلاثة نظرة تدل على القلق ، وعلى الرغم من جرأتهم لم يعرفوا أى شعور يجب أن يظهر على وجوههم ، إلا أن هنرى روكبيكيه تابع حديثه فقال :

— ألم أذكر لكم ذلك قبل الآن ؟ كذا ... لقد أخبرتكم ذلك ، تذكروا ، انها الابنة لافاليت ... قريبتى ، وكان ذلك منذ مدة ، والآن قد أصبحنا خطيبين ... انظروا ...

ثم مد يده اليمنى فظهر خاتم ذهبي يلمع فى أحد أصابعه . ولكى يجرب فى الحال الحجة التى أدلت بها اليه أمه قال لهم :

— إن لديها مليون ونصف من الفرنكات يا أحبائى . وستعطينى والدتى مبلغ خمسمائة ألف فرنك ، فيكون المجموع مليونين من الفرنكات . وهو مبلغ لطيف ظريف يكفى لمصاريف المنزل ، أليس كذلك ؟

فكرر دسبيرو وقد ظهرت علامات الحسد فى عينيه :

— مليونان ... إنهما شىء يذكر !

وكان بوربيس يلهث دون أن يجد كلمات يذكرها . وكان اسكادافال يعض نواجذه وهو يقول : « ملايين ملايين » لقد كانا شيئا يذكر فى الحقيقة . بل إنهما كانا مبلغاً كبيراً . كانا ثروة وحيدة فى نوعها فى ذلك الأقاليم الذى ما كان يضم غير الذين حل بهم الفقر . وحيث كانت أمراض الأرض قد جعلت معين الثروة ينضب منذ خمسة عشر سنة .

وكان سكوت طويل قطعه دسبيرو الذى أراد أن يسبب للشريف اضطرابا مثل الذى سببه له هو فقال :

— وهل تحب قريبتك هذه ، على الأقل ؟

فأجابه روكبيكيه :

— نعم أحبها ... كما يجب أن يحب المرء زوجته .. من المؤكد أن هناك كثيرات أجمل منها ولكن ليس من الضروري أن يتزوج الانسان من إلهة جمال مثل (الزهرة) وفوق ذلك ، إن كل ما كنت أذكره لكم عنها لم يكن إلا هراء

وجلس روكبيكيه بدوره وطرق بعصاه على المائدة أولا ، ثم على بطن اسكادافال وقال مغرقا فى الضحك :

— وبعد ذلك أنت ترى ياصديقى أنه لن يمكنك بعد ذلك أن تعاكسنى

وبعد أن شرب علقم التضحية وهضمه ، لم يبق على روكبيكيه إلا أن ينعم بالغنى وكان يستشعر بهذا النعيم ،

نعيم الغنى ، أكثر من اهتمامه بنعيم حب المرأة . . . ولم يكن يظهر غيره فى الشوارع والطرقات إبان تلك الأيام التى قضاها بتونيان يباشر اعداد المنزل الذى يسكنه ، كان الناس لا يرون غير الشريف ببطنه المنتفخة ورأسه العالى ومشيته المتباطئة فكأنهم يرون مليونين من الفرنكات يتحركان ... وفى الحقيقة ، إنه كان على حق فى فخره ، فقد كان الناس ينظرون اليه نظرة أخرى منذ أعلنت خطوبته . كان يثير فى الناس شيئا من الدهشة والاهتمام حين يخترق الشارع الرئيسى

كان يرقب الشفاه وهى تنفرج عن كلمتين ساحرتين هما : مليونان ... لقد كان ذلك العهد برهة شعر فيها بالرضاء الكامل فى نفسه وظلت تضىء فى ماضيه كما تضىء النجوم فى الليلة الظلماء . كان يمتطى جواده كل صباح ويذهب ليتناول طعامه فى قصر (مونتريج) . ولا ريب أنه كان يذهب إلى هناك ليجتذب اليه قلب الحدباء فكان يجدها أقل قبحا كلما ازداد اتصالا بها إذ كان فى كل رحلة يكتشف شيئا بديعاً فى ذلك القصر ، وفى تلك الأراضى التى كانت ستصبح ملكه

وحين عودته كان يشعر بالرغبة فى أن يقص أنباء حظه الحسن فكان يتوقف عند منزل آل دلكومب أو آل لوت ويقول :

— ذلك الكهف ! ياصديقى ! ذلك الكهف ! آه لو رأيته ! إن به من النبيذ ما يقدر ثمنه بمائة ألف من الفرنكات ! إن به كل ما تمكن لافاليت العجوز من جمعه فى بحر ثلاثين عاما ولم يمسه أحد منذ أصيب بالشلل إن الصغيرة التى سأتزوجها تشربه من نبيذ من النوع الردىء ... لا ريب أن كل تلك القصور سترقص حين أصبح سيدها ! . . .

وأخذ روكبيكيه يلح على پول ولويز أن يصحبا زوجتيهما إلى الحفلة الراقصة التى ستحيى فى قصر (مونتريج) احتفالا بعقد العقد . إلا أن الكاهن پول دلكومب كان يخاف إلى حد ما تلك الحفلات العامة وكانت مارت تتألم فى الشهور الأولى من سمنتها ، ولذا فانه ما كان بودى أن يتركها وحدها فى تونيان ولا أن يجعلها تقاسى متاعب رحلة تبلغ ستة عشر كيلو متراً فى عربة ، ذهابا وايابا . أما كاميل فانها لم توافق بالمرة على أن تحضر حفلة زواج الرجل الذى تقدم للزواج بها من قبل ولكنها كانت تحرض لويز على الذهاب ، يدفعها حب الاستطلاع النسائى فكانت تقول له :

« اذهب يالويز ... أرجوك ... كى تقص على حال الحدباء ووالدها ... وأم روكبيكيه . . . لاريب أن كل هؤلاء سيكونون من الغرابة المضحكة بمكان ... »

كان لويز يتهرب من الذهاب ، إذ كان عليه أن يسافر فى اليوم التالى لهذه الحفلة إلى مدينة سلن فلورنس حيث طلب المهندس الموجود بها حضوره لمساعدته فى أمور فنية يقصد بها مضاربة ... إلا أنه فى اليوم السابق للحفلة بينما كان ينهى ترتيباته الضرورية للسفر ويغلق حقائبه إذ حضر روكبيكيه فجأة ليرجوه أن يقلع عن رفضه ويحضر ، وأعلن اليه أن شيئاً هاما سينقص من سعادته إذا لم يكن « الصديق لوت » موجوداً بالحفلة . . .

— هه ! إنك ترى يا عزيزى انى أهتم بحضورك أكثر من أى شخص آخر . . . دعنى أر كل هؤلاء الفلاحين انى أعرف رجلا له قيمته ، رجلا باريسيا ! ..

حاول لويز أن يقاوم . ولكنه وجد فى النهاية أنه يسبب ألما عظيما للشاب برفضه ، ولذا فقد وافق فى النهاية وقال له :

— فليكن ! فلتشعر بالسعادة ياسيدى روكبيكيه .. سأحضر الحفلة ..

ولم يتمكن الشريف أن يخفى سروره ، فقبله